إحياء علوم الدين

تأليف

الإمام المجدد، حجة الإسلام والمسلمين

زين الدين، أبي حامد

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي

الطوسي الطابراني الشافعي

رضي الله عنه

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) - (١٠٥٨ - ١١١١ م)

ربع العبادات / القسم الثاني

كتاب

أسرار الزكاة - أسرار الصوم ومهماته - أسرار الحج ومهماته

آداب تلاوة القرآن - الأذكار والدعوات

ترتيب الأوراد في الأوقات وتفصيل إحياء الليل

المجلد الثاني

دار المنهاج

الطّبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م
جميع الحقوق محفوظة للناشر

المملكة العربية السعودية - جدة
حي الكندرة - شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون
هاتف رئيسي 6326666 - الإدارة 6300655
المكتبة 6322471 - فاكس 6320392
ص. ب 22943 - جدة 21416
www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com
ISBN: 978 - 9953 - 541 - 50 - 1

كتاب
ترتيب الأوراد في الأوقات
وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من ربع العبادات
من كتب إحياء علوم الدين

كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات وتفصيل إحياء الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدُ اللهَ علىٰ آلائِهِ حمداً كثيراً ، ونذكرُهُ ذكراً لا يغادرُ في القلبِ استكباراً ولا نفوراً[1] ، ونشكرُهُ إذْ جعلَ الليلَ والنهارَ خِلْفةً لمَنْ أرادَ أنْ يذكَّرَ أوْ أرادَ شُكوراً .

ونصلِّي علىٰ نبيِّهِ الذي بعثَهُ بالحقِّ بشيراً ونذيراً ، وعلىٰ آلِهِ الطاهرينَ وصحبِهِ الأكرمينَ الذينَ اجتهدوا في عبادةِ اللهِ تعالىٰ غدوةً وعشياً وأصيلاً وبكوراً ، حتَّىٰ أصبحَ كلُّ واحدٍ منهُم نجماً في الدينِ هادياً وسراجاً منيراً .

أما بعدُ :

فإنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ الأرضَ ذَلولاً لعبادِهِ لا ليستقرُّوا في مناكبِها ، بلْ ليتخذوها منزلاً فيتزودوا منها زاداً يحملهُمْ في سفرِهِمْ إلى أوطانِهِمْ ، ويكتنزونَ منها تحفاً لنفوسِهِمْ عملاً وفضلاً ، محترزينَ مِنْ مصايدِها ومعاطبِها ، ويتحقَّقونَ أنَّ العمرَ يسيرُ بِهِمْ سيرَ السفينةِ براكبِها .

فالناسُ في هٰذا العالمِ سَفْرٌ ، وأوَّلُ منازِلِهِمُ المهدُ ، وآخرُها اللحدُ ، والوطنُ هوَ الجنَّةُ أوِ النارُ ، والعمرُ مسافةُ السفرِ ، فسِنوهُ مراحلُهُ ، وشهورُهُ

---

(١) لا يغادر : لا يترك .

فراسخُهُ ، وأيامُهُ أميالُهُ ، وأنفاسُهُ خطواتُهُ ، وطاعتُهُ بضاعتُهُ ، وأوقاتُهُ رؤوسُ أموالِهِ ، وشهواتُهُ وأغراضُهُ قطَّاعُ طريقِهِ ، وربحُهُ الفوزُ بلقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ في دارِ السلامِ معَ المُلْكِ الكبيرِ والنعيمِ المقيمِ ، وخسرانُهُ البعدُ مِنَ اللهِ تعالىٰ معَ الأنكالِ والأغلالِ والعذابِ الأليمِ في دركاتِ الجحيمِ .

فالغافلُ عنْ نَفَسٍ مِنْ أنفاسِهِ حتَّىٰ ينقضيَ في غيرِ طاعةٍ تقرِّبُهُ إلى اللهِ تعالىٰ زُلفىٰ . . متعرضٌ في يومِ التغابنِ لغَبينَةٍ وحسرةٍ ما لها منتهىً[1] .

ولهٰذا الخطرِ العظيمِ والخطبِ الهائلِ شمَّرَ الموفَّقونَ عنْ ساقِ الجدِّ ، وودَّعوا بالكلِّيَّةِ ملاذَّ النفسِ ، واغتنموا بقايا العمرِ ، ورتَّبوا بحسبِ تكرُّرِ الأوقاتِ وظائفَ الأورادِ ؛ حرصاً علىٰ إحياءِ الليلِ والنهارِ ، في طلبِ القرْبِ مِنَ الملكِ الجبَّارِ ، والسعيِ إلىٰ دارِ القرارِ .

فصارَ مِنْ مهمَّاتِ علمِ طريقِ الآخرةِ تفصيلُ القولِ في كيفيَّةِ قسمةِ الأورادِ وتوزيعِ العباداتِ التي سبقَ شرحُها علىٰ مقاديرِ الأوقاتِ ، ويتضحُ هٰذا المهمُّ بذكْرِ بابينِ :

البابُ الأوَّلُ : في فضيلةِ الأورادِ ، وترتيبِها في الليلِ والنهارِ .

البابُ الثاني : في كيفيةِ إحياءِ الليلِ ، وفضيلتِهِ وما يتعلَّقُ بهِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) **الغبينة** : هي من الغبن كالشتيمة من الشتم ، وأهل الجنة يغبنون أهل النار فيرثون منازلهم في الجنة ، ويورِّثونهم منازلهم من النار . والمثلُ الذي ساقه المصنف بعد فصل الخطاب في تشبيه الإنسان والدنيا بالمسافر والسفر حكاه في كتابه « فضائح الباطنية » (ص ٢٢٥) .

البَابُ الأَوَّلُ
في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد ، وبيان أنّ المواظبة عليها هي الطّريق إلى الله عزّ وجلّ

اعلمْ : أنَّ الناظرينَ بنورِ البصيرةِ علموا أنَّهُ لا نجاةَ إلا في لقاءِ الله عزَّ وجلَّ ، وأنَّهُ لا سبيلَ إلى اللقاءِ إلا بأنْ يموتَ العبدُ محباً للهِ تعالىٰ ، وعارفاً باللهِ سبحانَه ، وأنَّ المحبَّةَ والأُنسَ لا تحصلُ إلا مِنْ دوامِ ذكْرِ المحبوبِ والمواظبةِ عليهِ ، وأنَّ المعرفةَ لا تحصلُ إلا بدوامِ الفكْرِ فيهِ وفي صفاتِهِ وأفعالِهِ ، وليسَ في الوجودِ سوى اللهِ تعالىٰ وأفعالِهِ ، ولنْ يتيسَّرَ دوامُ الذكْرِ والفكْرِ إلا بوداعِ الدنيا وشهواتِها ، والاجتزاءِ منها بقدْرِ البلغةِ والضرورةِ ، وكلُّ ذلكَ لا يتمُّ إلا باستغراقِ أوقاتِ الليلِ والنهارِ في وظائفِ الأذكارِ والإفكارِ .

والنفسُ لمَا جُبلتْ عليهِ مِنَ السآمةِ والمَلالِ لا تصبرُ علىٰ فنٍّ واحدٍ مِنَ الأسبابِ المعينةِ على الذكرِ والفكرِ ، بلْ إذا رُدَّتْ إلىٰ نمطٍ واحدٍ . . أظهرتِ المَلالَ والاستثقالَ ، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يملُّ حتَّىٰ تملُّوا ، فمِنْ ضرورةِ اللطفِ بها أنْ تروَّحَ بالتنقُّلِ مِنْ فنٍّ إلىٰ فنٍّ ، ومِنْ نوعٍ إلىٰ نوعٍ ، بحسَبِ كلِّ وقتٍ ؛ لتغزُرَ بالانتقالِ لذَّتُها ، وتعظمَ باللذَّةِ رغبتُها ، وتدومَ بدوامِ الرغبةِ مواظبتُها ؛ فلذلكَ تُقسَّمُ الأورادُ قسمةً مختلفةً .

والذكرُ والفكرُ ينبغي أنْ يستغرقا جميعَ الأوقاتِ أوْ أكثرَها ، فإنَّ النفسَ بطبعِها مائلةٌ إلىٰ ملاذِّ الدنيا ، فإنْ صرفَ العبدُ شطرَ أوقاتِهِ إلىٰ تدبيراتِ الدنيا وشهواتِها المباحةِ مثلاً ، والشطرَ الآخرَ إلى العباداتِ . . رجحَ جانبُ الميلِ إلى الدنيا ؛ لموافقتِها الطبعَ ، إذْ يكونُ الوقتُ متساوياً ، فأنَّىٰ يتقاومانِ والطبعُ لأحدِهما مرجِّحٌ ؟ إذِ الظاهرُ والباطنُ يتساعدانِ علىٰ أمورِ الدنيا ، ويصفو في طلبِها القلبُ ويتجرَّدُ ، وأمَّا الردُّ إلى العباداتِ . . فمتكلَّفٌ ، ولا يسلمُ إخلاصُ القلبِ فيهِ وحضورُهُ إلا في بعضِ الأوقاتِ .

فمَنْ أرادَ أنْ يدخلَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ . . فليستغرقْ أوقاتَهُ في الطاعةِ ، ومَنْ أرادَ أنْ تترجَّحَ كفَّةُ حسناتِهِ وتثقُلَ موازينُ خيراتِهِ . . فليستوعبْ في الطاعةِ أكثرَ أوقاتِهِ ، فإنْ خلطَ عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً . . فأمرُهُ مخطرٌ ، ولكنِ الرجاءُ غيرُ منقطعٍ ، والعفوُ مِنْ كرمِ اللهِ عزَّ وجلَّ منتظرٌ ، فعسى اللهُ أنْ يغفرَ لهُ بجودِهِ وكرمِهِ .

فهـٰذا ما انكشفَ للناظرينَ بنورِ البصيرةِ ، فإنْ لمْ تكنْ مِنْ أهلِهِ . . فانظرْ إلىٰ خطابِ اللهِ عزَّ وجلَّ لرسولِهِ واقتبسْهُ بنورِ الإيمانِ ، فقدْ قالَ تعالىٰ لأقربِ عبادِهِ إليهِ وأرفعِهِمْ درجةً لديهِ : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۞ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ .

ثمَّ انظرْ كيفَ وصفَ الفائزينَ مِنْ عبادِهِ ، وبماذا وصفَهُمْ ؛ فقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ .

وقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾ .

وقالَ عزَّ مِنْ قائلٍ : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ أيْ : فسبِّحوا اللهَ حينَ تمسونَ وحينَ تصبحون .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ .

فهٰذا كلُّهُ يبيِّنُ لكَ أنَّ الطريقَ إلى اللهِ تعالىٰ مراقبةُ الأوقاتِ ، وعمارتُها بالأورادِ علىٰ سبيلِ الدوامِ ، ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أحبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ الذينَ يراعونَ الشمسَ والقمرَ والأظلَّةَ لذكرِ اللهِ تعالىٰ »[1] ، وقدْ قالَ تعالىٰ : ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۞ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ .

فلا تظنَّنَّ أنَّ المقصودَ مِنْ سيرِ الشمسِ والقمرِ بحسبانٍ منظومٍ مرتَّبٍ ، ومِنْ خلقِ الظلِّ والنورِ والنجومِ . . أنْ يستعانَ بها علىٰ أمورِ الدنيا ، بلْ لتعرفَ بها مقاديرَ الأوقاتِ ، فتشتغلَ فيها بالطاعاتِ والتجارةِ للدارِ الآخرةِ ،

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٠٤) ، والطبراني في « الدعاء » (١٨٧٦) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٥١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٢٢٧) .

يدلُّكَ عليهِ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ أيْ : يخلفُ أحدُهما الآخرَ ليتداركَ في أحدِهما ما فاتَ في الآخرِ ، وبيَّنَ أنَّ ذلكَ للذكرِ والشكرِ لا لغيرِهِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ ، وإنَّما الفضلُ المبتغىٰ هوَ الثوابُ والمغفرةُ ، ونسألُ اللهَ حسنَ التوفيقِ لما يرضيهِ .

بيان أعداد الأوراد وترتيبها

اعلمْ : أنَّ أورادَ النهارِ سبعةٌ : فما بينَ طلوعِ الصبحِ إلىٰ طلوعِ قرْصِ الشمسِ وِردٌ ، وما بينَ طلوعِ الشمسِ إلى الزوالِ وِردانِ ، وما بينَ الزوالِ إلىٰ وقتِ العصرِ وِردانِ ، وما بينَ العصرِ إلى المغربِ وِردانِ .

والليلُ يقسمُ بأورادٍ أربعةٍ : وردانِ مِنَ المغربِ إلىٰ وقتِ نومِ الناسِ ، ووردانِ مِنَ النصفِ الأخيرِ مِنَ الليلِ إلىٰ طلوعِ الفجرِ ، ثمَّ وِردٌ خامسٌ وهو وِردُ النومِ ، مختصٌّ بالأذكارِ والأدعيةِ .

فلنذكرْ وظيفةَ كلِّ وردٍ وفضيلتَهُ وما يتعلَّقُ بهِ :

بيان أوراد النهار[1]

فالوردُ الأوَّلُ ما بينَ طلوعِ الصبحِ إلىٰ طلوعِ الشمسِ :

وهوَ وقتٌ شريفٌ ، ويدلُّ علىٰ شرفِهِ وفضلِهِ إقسامُ اللهِ تعالىٰ بهِ إذْ قالَ : ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ ، وتمدُّحُهُ بهِ إذْ قالَ عزَّ وجلَّ : ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ ، وقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ ، وإظهارُهُ القدرةَ بقبضِ الظلِّ فيهِ إذْ قالَ تعالىٰ : ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾ ، وهوَ وقتُ قبضِ ظلِّ الليلِ ببسطِ نورِ الشمسِ ، وإرشادُهُ عزَّ وجلَّ الناسَ إلى التسبيحِ فيهِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ ، وبقولِهِ تعالىٰ : ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[2] .

وأمَّا ترتيبُهُ : فليأخذْ مِنْ وقتِ انتباهِهِ مِنَ النومِ ، فإذا انتبَهَ . . فينبغي أنْ

---

(١) العنوان زيادة من اللجنة العلمية .

(٢) وروىٰ عبد الرزاق في « المصنف » (٤٧/١١) عن علقمة بن قيس قال : (بلغنا أن الأرض تعج إلى الله من نومة العالم بعد صلاة الصبح) ، وروى البيهقي في « الشعب » (٤٤٠٥) عن السيدة فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها قالت : مرَّ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجعة متصبحة ، فحركني برجله ثم قال : « يا بنيَّة ؛ قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين ، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس » .

يبتدىءَ بذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فيقولُ : (الحمدُ للهِ الذي أحيانا بعدَما أماتَنا وإليهِ النشورُ)[1] ، إلىٰ آخرِ الأدعيةِ والآياتِ التي ذكرناها في دعاءِ الاستيقاظِ مِنْ كتابِ الدعواتِ .

وليلبسْ ثوبَهُ وهوَ في الدعاءِ ، وينوي بهِ سترَ عورتِهِ امتثالاً لأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ واستعانةً علىٰ عبادتِهِ ، مِنْ غيرِ قصدِ رياءٍ ولا رعونةٍ .

ثمَّ يتوجَّهُ إلىٰ بيتِ الماءِ إنْ كانَ بهِ حاجةٌ ، ويُدخِلُ أولاً رِجْلَهُ اليسرىٰ ، ويدعو بالأدعيةِ التي ذكرناها في كتابِ الطهارةِ عندَ الدخولِ والخروجِ .

ثمَّ يستاكُ على السنةِ كما سبقَ ، ويتوضَّأُ مراعياً لجميعِ السننِ والأدعيةِ التي ذكرناها في الطهارةِ ، فإنَّا إنَّما قدمْنا آحادَ العباداتِ لكي نذكرَ في هـٰذا الكتابِ وجهَ التركيبِ والترتيبِ فقطْ .

فإذا فرغَ مِنَ الوضوءِ . . صلَّىٰ ركعتي الصبحِ ؛ أعني : السنَّةَ في منزلِهِ ، كذلكَ كانَ يفعلُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] ، ويقرأُ بعدَ الركعتينِ ـ سواءً أدَّاهُما في البيتِ أوْ في المسجدِ ـ الدعاءَ الذي رواهُ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ويقولُ : (اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ رحمةً مِنْ عندِكَ تهدي بها قلبي) إلىٰ آخرِ الدعاءِ[3] .

---

(١) رواه البخاري (٦٣١٢) ، ومسلم (٢٧١١) .

(٢) رواه البخاري (١١٧٣) .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٢٨٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٠٩) ، والترمذي (٣٤١٩) .

ثمَّ يخرجُ مِنَ البيتِ متوجِّهاً إلى المسجدِ ، ولا ينسىٰ دعاءَ الخروجِ إلى المسجدِ[1] ، ولا يسعىٰ إلى الصلاةِ ، بلْ يمشي وعليهِ السكينةُ والوقارُ كما وردَ بهِ الخبرُ[2] ، ولا يشبِّكُ بينَ أصابعِهِ ويدخلُ المسجدَ ويقدِّمُ رجلَهُ اليمنىٰ ويدعو بالدعاءِ المأثورِ لدخولِ المسجدِ[3] ، ثمَّ يطلبُ مِنَ المسجدِ الصفَّ الأوَّل إنْ وجدَ متَّسعاً ، ولا يتخطَّىٰ رقابَ الناسِ ولا يزاحمُ ؛ كما سبقَ ذكرُهُ في كتابِ الجمعةِ .

ثمَّ يصلِّي ركعتي الفجرِ إنْ لمْ يكنْ صلاَّهما في المنزلِ ، ويشتغلُ بالدعاءِ المذكورِ بعدَهما ، وإنْ كانَ قدْ صلَّىٰ ركعتي الفجرِ . . صلَّىٰ ركعتي التحيَّةِ وجلسَ منتظراً للجماعةِ .

والأحبُّ التغليسُ بالجماعةِ ؛ فقدْ كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يغلِّسُ بالصبحِ[4] ، ولا ينبغي أنْ يدعَ الجماعةَ في الصلاةِ عامةً وفي الصبحِ والعشاءِ خاصةً ؛ فلهُما زيادةُ فضلٍ ، فقدْ روىٰ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ في صلاةِ الصبحِ : « مَنْ توضَّأَ ثمَّ توجَّهَ إلىٰ مسجدٍ يصلِّي فيهِ الصلاةَ . . كانَ لهُ بكلِّ خطوةٍ حسنةٌ ، ومُحِيَ عنهُ

---

(١) رواه البخاري (٦٣١٦) ، ومسلم (٧٦٣) .

(٢) فيما رواه البخاري (٦٣٦) ، ومسلم (٦٠٢) مرفوعاً : « إذا ثوِّب للصلاة . . فلا يسعَ إليها أحدكم ، ولكن ليمشِ وعليه السكينة والوقار ، صلِّ ما أدركت ، واقضِ ما سبقك » .

(٣) رواه الترمذي (٣١٤) ، وابن ماجه (٧٧١) .

(٤) كما في « البخاري » (٥٦٠) ، و« مسلم » (٦٤٦) .

سيئةٌ ، والحسنةُ بعشْرِ أمثالِها ، فإذا صلَّىٰ ثمَّ انصرفَ عندَ طلوعِ الشمسِ . . كُتِبَ لهُ بكلِّ شعرةٍ في جسدِهِ حسنةٌ ، وانقلبَ بحجَّةٍ مبرورةٍ ، فإنْ جلسَ حتَّىٰ يركعَ . . كُتِبَ لهُ بكلِّ ركعةٍ ألفا ألفِ حسنةٍ ، ومَنْ صلَّى العتمةَ . . فلهُ مثلُ ذلكَ ، وانقلبَ بعمرةٍ مبرورةٍ »[1] .

وكانَ مِنْ عادةِ السلفِ دخولُ المسجدِ قبلَ طلوعِ الفجرِ ، قالَ رجلٌ مِنَ التابعينَ : دخلتُ المسجدَ قبلَ طلوعِ الفجرِ ، فلقيتُ أبا هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قدْ سبقَني ، فقالَ : يا بنَ أخي ؛ لأيِّ شيءٍ خرجتَ مِنْ منزلِكَ في هـٰذهِ الساعةِ ؟ فقلتُ : لصلاةِ الغداةِ ، فقالَ : أبشرْ ؛ فإنَّا كنَّا نعدُّ خروجَنا وقعودَنا في المسجدِ في هـٰذهِ الساعةِ بمنزلةِ غزوةٍ في سبيلِ اللهِ تعالىٰ ، أوْ قالَ : معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] .

وعنْ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ طرقَهُ وفاطمةَ رضيَ اللهُ عنهُما وهما نائمانِ ، فقالَ : « ألا تصلُّونَ ؟ قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّما أنفسُنا بيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فإذا شاءَ أنْ يبعثَنا . . بعثَنا ، فانصرفَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فسمعتُهُ وهوَ مدبرٌ يضربُ فخِذَهُ ويقولُ : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ »[3] .

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١/ ٤٧) بنحوه ، وانظر « قوت القلوب » (١/ ٢٧) .

(٢) قوت القلوب (١/ ٤٣) .

(٣) رواه البخاري (١١٢٧ ، ٧٣٤٧) ، ومسلم (٧٧٥) .

ثمَّ ينبغي أنْ يشتغلَ بعدَ ركعتي الفجرِ ودعائِهِ بالاستغفارِ والتسبيحِ إلىٰ أنْ تقامَ الصلاةُ ، فيقولَ : (أستغفرُ اللهَ الذي لا إلـهَ إلا هوَ الحيَّ القيُّومَ وأتوبُ إليهِ) سبعينَ مرَّةً ، و(سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلـهَ إلا اللهُ ، واللهُ أكبرُ) مئةَ مرَّةٍ .

ثمَّ يصلي الفريضةَ مراعياً جميعَ ما ذكرناهُ مِنَ الآدابِ الباطنةِ والظاهرةِ في الصلاةِ والقدوةِ ، فإذا فرغَ منها . . قعدَ في المسجدِ إلىٰ طلوعِ الشمسِ مشتغلاً في ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ كما سنرتبُهُ ، فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لأنْ أقعدَ في مجلسٍ أذكرُ اللهَ عزَّ وجلَّ فيهِ مِنْ صلاةِ الغداةِ إلىٰ طلوعِ الشمسِ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أعْتقَ أرْبعَ رقابٍ »[1] .

ورُوي أنَّهُ كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا صلَّى الغداةَ . . قعدَ في مصلاَّهُ حتَّىٰ تطلعَ الشمسُ[2] ، وفي بعضِها : ويصلِّي ركعتينِ[3] ؛ أي : بعدَ الطلوعِ ، وقدْ وردَ في فضلِ ذلكَ ما لا يحصىٰ .

وروى الحسنُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ فيما يذكرُ مِنْ رحمةِ ربِّهِ يقولُ : « إنَّهُ تعالىٰ قالَ : يا بنَ آدمَ ؛ اذكرني بعدَ صلاةِ الفجرِ

---

(١) رواه أبو داوود (٣٦٦٧) .

(٢) رواه مسلم (٦٧٠) .

(٣) روى الترمذي (٥٨٦) مرفوعاً : « من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتىٰ تطلع الشمس ، ثم صلىٰ ركعتين . . كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة » .

ساعةً وبعدَ صلاةِ العصرِ ساعةً . . أكفِكَ ما بينَهُما »[1] .

وإذا ظهرَ فضْلُ ذلكَ . . فليقعدْ ولا يتكلَّمْ إلىٰ طلوعِ الشمسِ ، بلْ ينبغي أنْ تكونَ وظيفتُهُ إلى الطلوعِ أربعةَ أنواعٍ : أدعيةٌ ، وأذكارٌ يكرِّرُها في سبْحَةٍ ، وقراءةُ قرآنٍ ، وتفكرٌ .

❀ ❀ ❀

أمَّا الأدعيةُ : فكما يفرغُ مِنْ صلاتِهِ فليبدأْ وليقلْ : اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمدٍ ، اللهمَّ ؛ أنتَ السلامُ ، ومنكَ السلامُ ، وإليكَ يعودُ السلامُ ، حيِّنا ربَّنا بالسلامِ ، وأدخلْنا دارَ السلامِ ، تباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ .

ثمَّ يفتتحُ الدعاءَ بما كانَ يفتتحُ بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهوَ قولُهُ : سبحانَ ربِّي العليِّ الأعلى الوهَّابِ[2] ، لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ الملكُ ، ولهُ الحمدُ ، يحيي ويميتُ ، وهوَ حيٌّ لا يموتُ ، بيدِهِ الخيرُ ، وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ، لا إلـهَ إلا اللهُ أهلُ النعمةِ والفضلِ ، والثناءِ الحسنِ ، لا إلـهَ إلا اللهُ ، ولا نعبدُ إلا إيَّاهُ ، مخلصينَ لهُ الدينَ ولوْ كرهَ الكافرونَ .

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٢٠٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢١٣) عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً ، وذكر الحافظ العراقي أن ابن المبارك رواه في « الزهد » عن الحسن مرسلاً . انظر « الإتحاف » (٥/ ١٢٨) .

(٢) رواه أحمد في « مسنده » (٤/ ٥٤) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٤٩٨) .

ثمَّ يبتدىءُ بالأدعيةِ التي أوردْناها في البابِ الثالثِ والرابعِ مِنْ كتابِ الأدعيةِ ، فيدعو بجميعِها إنْ قدرَ عليهِ ، أوْ يحفظُ مِنْ جملتِها ما يراهُ أوفقَ لحالِهِ ، وأرقَّ لقلبِهِ ، وأخفَّ علىٰ لسانِهِ .

وأمَّا الأذكارُ المكررةُ : فهيَ كلماتٌ وردَ في تكرارِها فضائلُ لمْ نطولْ بإيرادِها ، وأقلُّ ما ينبغي أنْ يكرِّرَ كلَّ واحدٍ منها ثلاثاً أوْ سبعاً ، وأكثرُهُ مئةٌ أوْ سبعونَ ، وأوسطُهُ عشرٌ ، فليكررْ ذلكَ بقدْرِ فراغِهِ وسَعةِ وقتِهِ ، وفضلُ الأكثرِ أكثرُ ، والأوسطُ الأقصدُ أنْ يكرِّرَها عشرَ مراتٍ ، فهوَ أجدرُ بأنْ يدومَ عليهِ ، وخيرُ الأمورِ أدومُها وإنْ قلَّ ، وكلُّ وظيفةٍ لا يمكنُ المواظبةُ علىٰ كثيرِها فقليلُها معَ المداومةِ أفضلُ وأشدُّ تأثيراً في القلبِ مِنْ كثيرِها مِنْ غيرِ مداومةٍ .

ومثالُ القليلِ الدائمِ مثالُ قطراتِ ماءٍ تتقاطرُ على الأرضِ على التوالي ، فتحدثُ فيها حُفيرةً ولوْ وقعَتْ على الحجرِ ، ومثالُ الكثيرِ المتفرِّقِ مثالُ ما يصبُّ دفعةً أوْ دفعاتٍ متفرقةً متباعدةَ الأوقاتِ ، فلا يبينُ لها أثرٌ ظاهرٌ .

وهـٰذهِ الكلماتُ عشرٌ :

الأولىٰ : قولُهُ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ الملكُ ، ولهُ

الحمدُ ، يحيي ويميتُ ، وهوَ حيٌّ لا يموتُ ، بيدِهِ الخيرُ ، وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ[١] .

الثانيةُ : قولُهُ : سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلـٰهَ إلا اللهُ ، واللهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ[٢] .

الثالثةُ : قولُهُ : سبُّوحٌ قدُّوسٌ ربُّ الملائكةِ والروحِ[٣] .

الرابعةُ : قولُهُ : سبحانَ اللهِ العظيمِ وبحمدِهِ[٤] .

الخامسةُ : قولُهُ : أستغفرُ اللهَ الذي لا إلـٰهَ إلا هوَ الحيَّ القيُّومَ وأسألُهُ التوبةَ[٥] .

السادسةُ : قولُهُ : اللهمَّ ، لا مانعَ لما أعطيتَ ، ولا معطيَ لما منعتَ ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجدُّ[٦] .

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٤) ، ومسلم (٢٦٩٣) ، والحديث عن فضل التكرار هنا وفيما سيأتي مطلق .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٧٥) بمطلق الاستكثار ، ولفظة : (العلي العظيم) عند ابن عدي في « الكامل » (٥/ ١٥) .

(٣) رواه مسلم (٤٨٧) ، وورد تكرارها عند ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٦٣٩) ولفظه مرفوعاً : « أكثر من أن تقول : سبحان الملك القدوس ، ربِّ الملائكة والروح » الحديث ، وهو في ذهاب الوحشة .

(٤) رواه البخاري (٦٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٩١) .

(٥) قال الحافظ العراقي : (رواه المستغفري في « الدعوات » من حديث معاذ ، أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات . . كفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر ، ولفظه : « وأتوب إليه ») ، ونحوه عند الترمذي (٣٣٩٧) كذلك .

(٦) رواها البخاري (٨٤٤) ، ومسلم (٤٧١ ، ٥٩٣) عقب الصلاة وبعد الركوع مطلقاً .

السادسةُ : قولُهُ : اللهمَّ ، لا مانعَ لما أعطيتَ ، ولا معطيَ لما منعتَ ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجدُّ[١] .

السابعةُ : قولُهُ : لا إلـهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ[٢] .

الثامنةُ : قولُهُ : باسمِ اللهِ الذي لا يضرُّ معَ اسمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهوَ السميعُ العليمُ[٣] .

التاسعةُ : اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ عبدِكَ ونبيِّكَ ورسولِكَ النبيِّ الأميِّ وعلىٰ آلِ محمدٍ[٤] .

العاشرةُ : قولُهُ : أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ، اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ همزاتِ الشياطينِ ، وأعوذُ بكَ ربِّ أنْ يَحْضُرونِ[٥] .

---

(١) رواها البخاري (٨٤٤) ، ومسلم (٤٧١ ، ٥٩٣) عقب الصلاة وبعد الركوع مطلقاً .

(٢) هو عند الدارقطني في « العلل » (٣/ ١٠٦) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٢٨٠) ، والخطيب في « الرحلة في طلب الحديث » (ص٢٠٤) .

(٣) رواه أبو داوود (٥٠٨٨) ، والترمذي (٣٣٨٨) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩٧٥٩) ، وابن ماجه (٣٨٦٩) .

(٤) صيغة مركبة من حديثين ، ففي « البخاري » (٤٧٩٨) : « قولوا : اللهم ؛ صل علىٰ محمد عبدك ورسولك . . . » الحديث ، وعند أبي داوود (٩٧٩) : « قولوا : اللهم ؛ صل علىٰ محمد النبي الأمي وعلىٰ آل محمد » ، والإكثار من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم مستفيض في دواوين السنة .

(٥) رواه الترمذي (٢٩٢٢) مرفوعاً : « من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آياتٍ من آخر سورة الحشر . . وكَّلَ اللهُ به سبعين =

فهـٰذهِ العشرُ كلماتٍ إذا كرَّرَ كلَّ واحدةٍ عشرَ مرَّاتٍ . . حصلَ لهُ مئةُ مرَّةٍ ، فهوَ أفضلُ مِنْ أنْ يكرِّرَ ذكراً واحداً مئةَ مرَّةٍ ؛ لأنَّ لكلِّ واحدةٍ مِنْ هـٰذهِ الكلماتِ فضلاً علىٰ حيالِها ، وللقلبِ بكلِّ واحدةٍ نوعُ تنبيهٍ وتلذُّذٍ ، وللنفسِ في الانتقالِ مِنْ كلمةٍ إلىٰ كلمةٍ نوعُ استراحةٍ وأمنٍ مِنَ المَلالِ[1] .

❀ ❀ ❀

فأمَّا القراءةُ : فيستحبُّ لهُ قراءةُ جملةٍ مِنَ الآياتِ وردتِ الأخبارُ بفضلِها ، وهوَ أنْ يقرأَ : (سورةَ الحمد)[2] ، وآيةَ الكرسيِّ[3] ، وخاتمةَ (البقرةِ)[4] ؛ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ ، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ الآيتينِ[5] ، وقولَهُ تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

= ألف ملك يصلون عليه حتىٰ يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم . . مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسي . . كان بتلك المنزلة » .

(١) قوت القلوب (١/ ٦) .

(٢) فهي أعظم سورة في القرآن كما في « البخاري » (٤٤٧٤) .

(٣) وهي أعظم آية في القرآن كما في « مسلم » (٨١٠) .

(٤) أتىٰ فضلها في « البخاري » (٤٠٠٨) ، ومسلم (٨٠٧) .

(٥) روىٰ في فضلها ابن السني في « عمل اليوم والليلة » مرفوعاً : « إن فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، والآيتين من (آل عمران) ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ ﴾ ، معلقات ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب ، لما أراد الله أن ينزلهن . . تعلقن بالعرش ، قلن : ربنا تهبطنا إلىٰ أرضك وإلىٰ من =

أَنفُسِكُمْ﴾ إلىٰ آخرِها[1] ، وقولَهُ تعالىٰ : ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ إلىٰ آخرِها[2] ، وقولَهُ سبحانَهُ : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآيةَ[3] ، وخمسَ آياتٍ مِنْ أوَّلِ (الحديدِ)[4] ، وثلاثَ آياتٍ مِنْ آخرِ (سورةِ الحشرِ)[5] .

= يعصيك ؟ فقال الله عز وجل : بي حلفت ؛ لا يقرؤكن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه علىٰ ما كان منه ، وإلا أسكنته حظيرة القدس . . . » الحديث .

(١) روىٰ في فضل الآية الخاتمة منها الطبراني في « الدعاء » (١٠٥٩) ، ونقل الحافظ عن أبي القاسم الغافقي في « فضائل القرآن » لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من لزم قراءة : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ . . لم يمت هدماً ولا غرقاً ولا حرقاً ولا ضرباً بحديدة » . انظر « الإتحاف » (٥/ ١٣٣) .

(٢) روى البخاري (٤١٧٧) في فضل السورة عموماً قولَه صلى الله عليه وسلم : « لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ » ، وروى الثعلبي في « تفسيره » (٩/ ٤٠) عن يزيد بن هارون يقول : سمعت المسعودي يذكر قال : بلغني أن من قرأ في أول ليلة من رمضان ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ في التطوع . . حفظ ذلك العام .

(٣) روىٰ أحمد في « المسند » (٣/ ٤٣٩) مرفوعاً : « آية العز : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ » الآيةَ كلَّها .

(٤) ذكر أبو القاسم الغافقي في « فضائل القرآن » من حديث علي رضي الله عنه : (إذا أردت أن تسأل الله حاجة . . فاقرأ خمس آيات من أول « سورة الحديد » إلىٰ قوله : ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ، ومن آخر « سورة الحشر » من قوله : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلىٰ آخر السورة ، ثم تقول : يا من هو كذا ؛ افعل بي كذا ، ثم تدعو بما تريد) . « إتحاف » (٥/ ١٣٤) ، وانظر « الدر المنثور » (٨/ ١٢٢) .

(٥) تقدم الحديث في ذكر فضلها تعليقاً ، وروى البيهقي في « الشعب » (٢٢٧١) مرفوعاً : =

وإنْ قرأَ المسبَّعاتِ العشرَ التي أهداها الخضرُ عليهِ السلامُ إلىٰ إبراهيمَ التيميِّ رحمَهُ اللهُ ووصَّاهُ أنْ يقولَها غدوةً وعشيةً . . فقدِ استكملَ الفضلَ ، وجمعَ لهُ ذلكَ فضيلةَ جملةِ الأدعيةِ المذكورةِ ، فقدْ رُويَ عنْ كرزِ بنِ وبرةَ وكانَ مِنَ الأبدالِ رحمهُ اللهُ قالَ : أتاني أخٌ لي مِن أهلِ الشامِ ، فأهدىٰ لي هديةً وقالَ : يا كرزُ ؛ اقبلْ منِّي هٰذهِ الهديةَ ؛ فإنَّها نعمتِ الهديةُ ، فقلتُ : يا أخي ؛ ومَنْ أهدىٰ لكَ هٰذهِ الهديةَ ؟ قالَ : أعطانيها إبراهيمُ التيميُّ ، قلتُ : أفلمْ تسألْ إبراهيمَ التيميَّ مَنْ أعطاهُ إيَّاها ؟ قالَ : بلىٰ ، قالَ : كنتُ جالساً في فِناءِ الكعبةِ وأنا في التهليلِ والتسبيحِ والتحميدِ والتمجيدِ ، فجاءني رجلٌ ، فسلَّمَ عليَّ وجلسَ عنْ يميني ، فلمْ أرَ في زمانِي أحسنَ منهُ وجهاً ، ولا أحسنَ منهُ ثياباً ، ولا أشدَّ بياضاً ، ولا أطيبَ ريحاً منهُ ، فقلتُ : يا عبدَ اللهِ ؛ مَنْ أنتَ ، ومِنْ أينَ جئتَ ، فقالَ : أنَا الخضرُ ، فقلتُ : في أيِّ شيءٍ جئتني ؟ فقالَ : جئتُكَ للسلامِ عليكَ وحبّاً لكَ في اللهِ عزَّ وجلَّ ، وعندي هديةٌ أريدُ أنْ أهديَها إليكَ ، فقلتُ : ما هيَ ؟ قالَ : أنْ تقرأَ قبلَ طلوعِ الشمسِ وانبساطِها على الأرضِ وقبلَ الغروبِ (سورةَ الحمدِ) ، و(قلْ أعوذُ بربِّ الناسِ) و(قلْ أعوذُ بربِّ الفلقِ) و(قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) و(قلْ يا أيُّها الكافرونَ) ، وآيةَ الكرسيِّ ، كلَّ واحدةٍ سبعَ مرَّاتٍ ، وتقولَ :

= « من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته . . فقد أوجب الجنة » .

(سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلـٰهَ إلا اللهُ ، واللهُ أكبرُ) سبعاً ، وتصلِّيَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سبعاً ، وتستغفرَ لنفسِكَ ولوالديكَ وللمؤمنينَ والمؤمناتِ سبعاً، وتقولَ: اللهمَّ ؛ افعلْ بي وبهِمْ عاجلاً وآجلاً في الدينِ والدنيا والآخرةِ ما أنتَ لهُ أهلٌ ، ولا تفعلْ بنا يا مولانا ما نحنُ لهُ أهلٌ ، إنَّكَ غفورٌ حليمٌ[1] جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ سبعَ مرَّاتٍ ، وانظرْ ألاَّ تدعَ ذلكَ غدوةً وعشيةً .

فقلتُ : أحبُّ أنْ تخبرَني مَنْ أعطاكَ هـٰذهِ العطيةَ العظيمةَ ؟ فقالَ : أعطانيها محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقلتُ : أخبرْني بثوابِ ذلكَ ، فقالَ: إذا لقيتَ محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فسَلْهُ عنْ ثوابِهِ ، فإنَّهُ يخبرُكَ بذلكَ .

فذكرَ إبراهيمُ التيميُّ أنَّهُ رأىٰ ذاتَ ليلةٍ في منامِهِ كأنَّ الملائكةَ جاءتْهُ فاحتملتْهُ حتَّىٰ أدخلوهُ الجنةَ ، فرأىٰ ما فيها ، ووصفَ أموراً عظيمةً ممَّا رآهُ في الجنةِ ، قالَ : فسألتُ الملائكةَ فقلتُ : لمَنْ هـٰذا كلُّهُ ؟ فقالوا : للذي يعملُ مثلَ عملِكَ ، وذكرَ أنَّهُ أكلَ مِنْ ثمرِها وسقوهُ مِنْ شرابِها ، قالَ : فأتاني النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومعهُ سبعونَ نبيّاً وسبعونَ صفّاً مِنَ الملائكةِ ، كلُّ صفٍّ مثلُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ ، فسلَّمَ عليَّ ، وأخذَ

(١) الذي في النسخ : (رحيم) بدل (حليم) ، والمثبت من « القوت » (١/ ٧) ، ونسخة الحافظ الزبيدي ، والله أعلم .

بيدي ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنَّ الخضرَ أخبرَني أنَّهُ سمعَ منكَ هـٰذا الحديثَ ، فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : صدقَ الخضرُ ، صدقَ الخضرُ ، وكلُّ ما يحكيهِ فهوَ حقٌّ ، وهوَ عالمُ أهلِ الأرضِ ، وهوَ رئيسُ الأبدالِ ، وهوَ مِنْ جنودِ اللهِ عزَّ وجلَّ في الأرضِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ فمَنْ فعلَ هـٰذا أو عملَهُ ولمْ يرَ مثلَ الذي رأيتُ في منامي . . هلْ يُعطىٰ شيئاً ممَّا أُعطيتُهُ ؟ فقالَ : والذي بعثني بالحقِّ نبياً ؛ إنَّهُ ليعطى العاملُ بهـٰذا وإنْ لمْ يرني ولمْ يرَ الجنَّةَ ، إنَّهُ ليغفرُ لهُ جميعُ الكبائرِ التي عملَها ويرفعُ اللهُ سبحانَهُ عنهُ غضبَهُ ومقتَهُ ، ويأمرُ صاحبَ الشمالِ ألا يكتبَ عليهِ خطيئةً مِنَ السيئاتِ إلىٰ سنةٍ ، والذي بعثني بالحقِّ نبياً ؛ ما يعملُ بهـٰذا إلا مَنْ خلقَهُ اللهُ سعيداً ، ولا يتركُهُ إلا مَنْ خلقَهُ اللهُ شقيّاً[1] .

---

(١) القصة رواها ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦/٤٢٩) إلىٰ قوله : (وهو من جنود الله عز وجل في الأرض) ، وتمامها عند صاحب « القوت » (١/٧) ، قال الحافظ الزبيدي بعد أن حدَّث عن ضعف سندها : (ولكن مثل هـٰذا يغتفر في فضائل الأعمال ، لا سيما وقد تلقته الأمة بالقبول ، والله أعلم) .
وقد حكى الحافظ العراقي عبارة علمية دقيقة في شأن حياة الخضر عليه السلام واجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : (ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ، ولا حياته ولا موته) . « إتحاف » (٥/١٣٥) ، فنفى الحافظ الصحة عن الخبر ، وهـٰذا لا يمنع ما دونه ، ثم سوَّىٰ في الأخبار الواردة فلا ترجيح ، فكما أنه لم يصح شيء في حياته فكذلك القول في موته ، وكما أنه لم يصح شيء في اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم فكذلك لم يصح شيء في عدم اجتماعه به ، فعاد الأمر إلىٰ أذواق خاصة في الاستدلال .

وكانَ إبراهيمُ التيميُّ يمكثُ أربعةَ أشهرٍ لمْ يطعمْ ولمْ يشربْ ، فلعلَّهُ كانَ بعدَ هـٰذهِ الرؤيا[1] .

فهـٰذهِ وظيفةُ القراءةِ ، فإنْ أضافَ إليها شيئاً ممَّا انتهىٰ إليهِ وِردُهُ مِنَ القرآنِ أوِ اقتصرَ عليهِ . . فهو حسنٌ ؛ فإنَّ القرآنَ جامعٌ لفضلِ الذكرِ والفكرِ والدعاءِ مهما كانَ بتدبُّرٍ كما ذكرنا فضلَهُ وآدابَهُ في كتابِ التلاوةِ .

= وممن قال بحياته عليه السلام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في « فتاويه » (١/ ١٨٥) حيث قال : (وأما الخضر عليه السلام . . فهو من الأحياء عند جماهير الخاصة من العلماء والصالحين ، والعامة معهم في ذلك ، وإنما شذَّ بإنكار ذلك بعض أهل الحديث) ، وقال الإمام النووي في « المجموع » (٥/ ٢٦٩) وهو يحكي عن الخضر عليه السلام : (وإنما ذكره أصحابنا ، وفيه دليل منهم لاختيارهم ما هو المختار ، وترجيح ما هو الصواب ، وهو أن الخضر عليه السلام حي باق ، وهـٰذا قول أكثر العلماء) ، وقد قال الإمام المفسر القرطبي في « تفسيره » (١١/ ٤١) وهو يحكي الخلاف : (والصحيح القول الثاني ، وهو أنه حي) .

وهـٰذا لا يمنع وجود أقوال معارضة لذلك ، ووجود من فوَّض الأمر فيه عليه السلام إلى الله تعالىٰ ؛ كما فعل ذلك الحافظ ابن حجر في ترجمته الطويلة في « الإصابة » (١/ ٤٢٨) وقد ذكره في القسم الأول وقال : (فهو داخل في تعريف الصحابي علىٰ أحد الأقوال ، ولم أر من ذكره فيهم من القدماء مع ذهاب الأكثر إلى الأخذ بما ورد من أخباره في تعميره وبقائه) ، ثم أفرده في كتاب « الزهر النضر في نبأ الخضر » .

(١) قوت القلوب (١/ ٧) .

وأمَّا الإفكارُ : فليكنْ ذلكَ أحدَ وظائفِهِ ، وسيأتي تفصيلُ ما يتفكرُ فيهِ وكيفيتُهُ في كتابِ التفكُّرِ مِنْ ربعِ المنجياتِ إنْ شاءَ اللهُ ، ولكنْ مجامعُهُ ترجعُ إلىٰ فنَّيْنِ :

أحدُهما : أنْ يتفكَّرَ فيما ينفعُهُ في المعاملةِ ؛ بأنْ يحاسبَ نفسَهُ فيما سبقَ مِنْ تقصيرِهِ[1] ، ويرتِّبَ وظائفَهُ في يومِهِ الذي بينَ يديهِ ، ويدبِّرَ في دفعِ الصوارفِ والعوائقِ الشاغلةِ لهُ عنِ الخيرِ ، ويتذكَّرَ تقصيرَهُ وما يتطرَّقُ إليهِ الخللُ مِنْ أعمالِهِ ليصلحَهُ ، ويحضرَ في قلبِهِ النيَّاتِ الصالحةَ في أعمالِهِ في نفسِهِ وفي معاملتِهِ للمسلمينَ[2] .

الفنُّ الثاني : فيما ينفعُهُ في علمِ المكاشفةِ ، وذلكَ بأنْ يتفكَّرَ مرَّةً في نعمِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وتواترِ آلائِهِ الظاهرةِ والباطنةِ ، لتزيدَ معرفتُهُ بها ، ويكثرَ

---

(١) عن الشكر في ظواهر النعم وبواطنها ، وعجزه عن القيام بما أمر به من حسن الطاعة ودوام الشكر على النعمة . « إتحاف » (٥/ ١٣٥) .

(٢) أي : يعقد طريقه علىٰ حسن المعاملة بينه وبين ربه ، وفيما بينه وبين الخلق ، ويدخل في ذلك التفكر فيما عليه من الأوامر والنوادب ، وفي كثيف ستر الله تعالىٰ ولطيف صنعه به ، ويستغفر الله تعالىٰ ويجدد التوبة لما مضىٰ من عمره ، ولما يأتنف من مستقبله ، ويخلص الدعاء بتمسكن وتضرع ووجل وإخبات أن يعصمه من جميع النهي ، وأن يوفقه لصالح الأعمال ، ويتفضل عليه برغائب الأفضال ، وهو في ذلك فارغ القلب مجرَّد الهم ، موقن بالإجابة راض بالقسم ، ويتكلم بمعروف وخير ، ويدعو به إلى الله عز وجل ، وينفع به أخاه المسلم ، ويعلم من دونه في العلم . « إتحاف » (٥/ ١٣٦) .

شكرُهُ عليها، أوْ في عقوباتِهِ ونقماتِهِ؛ لتزيدَ معرفتُهُ بقدرةِ اللهِ تعالىٰ واستغنائِهِ، ويزيدَ خوفُهُ منها ، ولكلٍّ واحدٍ مِنْ هـٰذهِ الأمورِ شعبٌ كثيرةٌ يتسعُ التفكُّرُ فيها علىٰ بعضِ الخلقِ دونَ البعضِ ، وإنَّما نستقصي ذلكَ في كتابِ التفكُّرِ .

ومهما تيسَّرَ الفكرُ . . فهوَ أشرفُ العباداتِ ؛ إذْ فيهِ معنى الذكرِ للهِ سبحانَهُ وزيادةُ أمرينِ :

أحدُهما : زيادةُ المعرفةِ ؛ إذِ الفكرُ مفتاحُ المعرفةِ والكشفِ[1] .

والثاني : زيادةُ المحبَّةِ ؛ إذْ لا يحبُّ القلبُ إلا مَنِ اعتقدَ تعظيمَهُ ، ولا تنكشفُ عظمةُ اللهِ سبحانَهُ وجلالُهُ إلا بمعرفةِ صفاتِهِ ، ومعرفةِ قدرتِهِ ، وعجائبِ أفعالِهِ ، فيحصلُ مِنَ الفكرِ المعرفةُ ، ومِنَ المعرفةِ التعظيمُ ، ومِنَ التعظيمِ المحبَّةُ .

والذكرُ أيضاً يورثُ الأنسَ ، وهوَ نوعٌ مِنَ المحبَّةِ ، ولكنِ المحبَّةُ التي سببُها المعرفةُ أقوىٰ وأثبتُ وأعظمُ ، ونسبةُ محبةِ العارفِ إلىٰ أنسِ الذاكرِ مِنْ غيرِ تمامِ الاستبصارِ كنسبةِ عشقِ مَنْ شاهدَ جمالَ شخصٍ بالعينِ واطلعَ علىٰ

(١) لأنه إدارة فكر وتصرف قلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب ، فالفكر يد النفس التي تنال بها المعلومات كما تنال بيد الجسم المحسوسات ، وبهـٰذا التصرف القلبي يتدرج إلىٰ فتوح باب المعرفة والكشف الإلهي . « إتحاف » (٥/ ١٣٦) .

حسنِ أخلاقِهِ وأفعالِهِ وفضائلِهِ وخصالِهِ الحميدةِ بالتجربةِ إلىٰ أنسِ مَنْ كُرِّرَ علىٰ سمعِهِ وصْفُ شخصٍ غائبٍ عنْ عينهِ بالحسنِ في الخَلْقِ والخُلقِ مطلقاً مِنْ غيرِ تفصيلِ وجوهِ الحسنِ فيهما ، فليسَ محبَّتُهُ لهُ كمحبةِ المشاهدِ ، وليسَ الخبرُ كالمعاينةِ .

والعبادُ المواظبونَ علىٰ ذكرِ اللهِ تعالىٰ بالقلبِ واللسانِ ، الذينَ صدَّقوا بما جاءتْ بهِ الرسلُ بالإيمانِ التقليديِّ . . ليسَ معهُمْ مِنْ محاسنِ صفاتِ اللهِ سبحانَهُ إلا أمورٌ جُمْليَّةٌ اعتقدوها بتصديقِ مَنْ وصفَها لهُمْ ، والعارفونَ هُمُ الذينَ شاهدوا ذلكَ الجلالَ والجمالَ بعينِ البصيرةِ الباطنةِ التي هيَ أقوىٰ مِنَ البصرِ الظاهرِ لا أنَّ أحداً أحاطَ بكنْهِ جلالِهِ وجمالِهِ ، فإنَّ ذلكَ غيرُ مقدورٍ لأحدٍ مِنَ الخلقِ[1] ، ولكنْ كلُّ واحدٍ شاهدَ بقدْرِ ما رفعَ لهُ مِنَ الحجابِ .

ولا نهايةَ لجمالِ حضرةِ الربوبيةِ ولا لحُجُبِها ، وإنَّما عددُ حُجُبِها التي استحقتْ أنْ تسمَّىٰ نوراً ـ وكادَ أنْ يظنَّ الواصلُ إليها أنَّهُ قدْ تمَّ وصولُهُ إلى الأصلِ ـ سبعونَ حجاباً ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ للهِ

---

(١) إذ نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ، ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه ، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالىٰ . . . ، وأما اتساع المعرفة إنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته . « إتحاف » (١٣٧/٥) .

سبعينَ حجاباً مِنْ نورٍ ، لوْ كشفَها . . لأحرقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ كلَّ ما أدركَ بصرُهُ »[1] .

وتلكَ الحجبُ أيضاً مترتبةٌ ، وتلكَ الأنوارُ متفاوتةٌ في الرتبِ تفاوتَ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ ، ويبدو في الأوَّلِ أصغرُها ، ثمَّ ما يليهِ ، وعلىٰ ذلكَ أوَّلَ بعضُ الصوفيةِ درجاتِ ما كانَ يظهرُ لإبراهيمَ الخليلِ صلواتُ اللهِ عليهِ وسلامُهُ في ترقِّيهِ وقالَ : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ أيْ : أظلمَ عليهِ الأمرُ . . ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ أي : وصلَ إلىٰ حجابٍ مِنْ حُجُبِ النورِ ، فعبَّرَ عنهُ بالكوكبِ[2] ، وما أريدَ بهِ هٰذهِ الأجسامُ المضيئةُ ؛ فإنَّ آحادَ العوامِّ لا يخفىٰ عليهمْ أنَّ الربوبيَّةَ لا تليقُ بالأجسامِ ، بلْ يدركونَ ذلكَ بأوائلِ نظرِهِمْ ، فما لا يضلِّلُ العوامَّ لا يضلِّلُ الخليلَ عليهِ السلامُ .

والحُجُبُ المسمَّاةُ أنواراً ما أُريدَ بها الضوءُ المحسوسُ بالبصرِ ، بلْ أُريدَ بها ما أريدَ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ . . . ﴾ الآيةَ .

---

(١) رواه مسلم (١٧٩) بلفظ : « حجابه النور » ، ولفظ : « سبعين حجاباً » عند الطبراني في « الأوسط » (٦٤٠٣) ، وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٥٥) مرفوعاً : « يا جبريل ؛ هل ترىٰ ربك ؟ قال : إن بيني وبينه لسبعين حجاباً من نار أو من نور ، لو دنوت من أدناها . . لاحترقت » . وانظر إلىٰ ما قاله المصنف رحمه الله تعالىٰ في « مشكاة الأنوار » (ص٧٥) .

(٢) انظر إلىٰ ما قاله المصنف رحمه الله تعالىٰ في « مشكاة الأنوار » (ص٥٥) .

ولنتجاوزْ هـٰذهِ المعانيَ ؛ فإنَّها خارجةٌ عَنْ علمِ المعاملةِ ، ولا يُوصلُ إلىٰ حقائقِها إلا بالكشْفِ التابعِ للفكرِ الصافي ، وقلَّ مَنْ يفتحُ لهُ بابُهُ ، والمتيسِّرُ علىٰ جماهيرِ الخلائقِ الفكرُ فيما يفيدُ في علومِ المعاملةِ ، وذلكَ أيضاً ممَّا تغزرُ فائدتُهُ ويعظُمُ نفعُهُ .

فهـٰذهِ الوظائفُ الأربعةُ ـ أعني : الدعاءَ ، والذكرَ ، والقراءةَ ، والفكرَ ـ ينبغي أنْ تكونَ وظيفةَ المريدِ بعدَ صلاةِ الصبحِ ، بلْ في كلِّ وِردٍ بعدَ الفراغِ مِنْ وظيفةِ الصلاةِ ، فليسَ بعدَ الصلاةِ وظيفةٌ سوىٰ هـٰذهِ الأربعِ .

ويقوِّي علىٰ ذلكَ بأنْ يأخذَ سلاحَهُ ومجنَّهُ ، والصومُ هوَ الجُنَّةُ التي تضيِّقُ مجاريَ الشيطانِ المعادي الصارفِ لهُ عنْ سبيلِ الرشادِ .

وليسَ بعدَ طلوعِ الصبحِ صلاةٌ سوىٰ ركعتيِ الفجرِ وفرضِ الصبحِ إلى الطلوعِ ، كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابُهُ رضيَ اللهُ عنهُم يشتغلونَ في هـٰذا الوقتِ بالأذكارِ[1] ، وهوَ الأولىٰ ، إلا أنْ يغلبَهُ النومُ قبلَ الفرضِ ولمْ يندفعْ إلا بالصلاةِ ، فلو صلَّىٰ لذلكَ . . فلا بأسَ بهِ .

---

(١) روىٰ ذلك الخبر أبو داوود (٣٦٦٧) .

الوردُ الثاني : ما بينَ طلوعِ الشمسِ إلىٰ ضحوةِ النهارِ :

وأعني بالضحوةِ منتصفَ ما بينَ طلوعِ الشمسِ إلى الزوالِ ، وذلكَ بمضيِّ ثلاثِ ساعاتٍ مِنَ النهارِ إذا فرضَ النهارُ اثنتي عشرةَ ساعةً ، وهوَ الربعُ ، وفي هٰذا الربعِ مِنَ النهارِ وظيفتانِ زائدتانِ :

ـ **إحداهُما** : صلاةُ الضحىٰ ، وقدْ ذكرنا في كتابِ الصلاةِ أنَّ الأولىٰ أنْ يصلِّيَ ركعتينِ عندَ الإشراقِ ، وذلكَ إذا انبسطتِ الشمسُ وارتفعتْ قدرَ نصفِ رمحٍ ، ويصلِّيَ أربعاً أوْ ستاً أوْ ثمانياً إذا رَمِضَتِ الفصالُ[1] ، وضحيتِ الأقدامُ بحرِّ الشمسِ .

فوقتُ الركعتينِ هوَ الذي أرادَ اللهُ تعالىٰ بقولِهِ : ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ ، فإنَّهُ وقتُ إشراقِ الشمسِ ، وهوَ ظهورُ تمامِ نورِها بارتفاعِها عنْ مُوازاةِ البخاراتِ والغباراتِ التي علىٰ وجهِ الأرضِ ، فإنَّها تمنعُ إشراقَها التامَّ .

ووقتُ الركعاتِ الأربعِ هوَ الضحى الأعلى الذي أقسمَ اللهُ تعالىٰ بهِ فقالَ : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ، وخرجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ أصحابِهِ وهمْ يصلُّونَ عندَ الإشراقِ ، فنادىٰ بأعلىٰ صوتِهِ : « ألا إنَّ صلاةَ الأوَّابينَ إذا رمضتِ الفصالُ »[2] .

---

(١) **الفصال** : جمع فصيل ، وهو ولد الناقة ؛ **والمعنىٰ** : أي نامت في ظل أمَّاتها عند حر الشمس ، أو بمعنى احتراق أخفافها من شدة حرِّ الرمل .

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٧٤)، وهو عند مسلم (٧٤٨) دون ذكر وقت الإشراق .

فلذلكَ نقولُ : إذا كانَ يقتصرُ علىٰ مرَّةٍ واحدةٍ في الصلاةِ . . فهـٰذا الوقتُ أفضلُ لصلاةِ الضحىٰ ، وإنْ كانَ أصلُ الفضلِ يحصلُ بالصلاةِ بينَ طرفي وقتي الكراهةِ ، وهوَ ما بينَ ارتفاعِ الشمسِ بطلوعِ نصفِ رمحٍ بالتقريبِ إلىٰ ما قبلَ الزوالِ في ساعةِ الاستواءِ ، فاسمُ الضحىٰ ينطلقُ على الكلِّ ، وكأنَّ ركعتي الإشراقِ تقعُ في مبدأِ وقتِ الإذنِ في الصلاةِ وانقضاءِ الكراهةِ ؛ إذْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ الشمسَ تطلعُ ومعَها قرنُ الشَّيطانِ ، فإذا ارتفعَتْ . . فارقَها »[1] ، فأقلُّ ارتفاعِها أنْ ترتفعَ عنْ بخاراتِ الأرضِ وغبارِها ، وهـٰذا يراعىٰ بالتقريبِ .

ـ **الوظيفةُ الثانيةُ في هـٰذا الوقتِ** : الخيراتُ المتعلِّقةُ بالناسِ التي جرتْ بها العاداتُ بكرةً ؛ مِنْ عيادةِ مريضٍ ، وتشييعِ جَنازةٍ ، ومعاونةٍ علىٰ برٍّ وتقوىٰ ، وحضورِ مجلسِ علمٍ ، وما يجري مجراهُ ؛ مِنْ قضاءِ حاجةٍ لمسلمٍ وغيرِها .

فإنْ لمْ يكنْ شيءٌ مِنْ ذلكَ . . عادَ إلى الوظائفِ الأربعِ التي قدَّمْناها ؛ مِنَ الأدعيةِ ، والذكرِ ، والقراءةِ ، والفكرِ ، أوِ الصلواتِ المتطوَّعِ بها إنْ شاءَ ، فإنَّها مكروهةٌ بعدَ صلاةِ الصبحِ وليستْ مكروهةً الآنَ ، فتصيرُ الصلاةُ قسماً خامساً مِنْ جملةِ وظائفِ هـٰذا الوقتِ لمَنْ أرادَهُ .

---

(١) رواه النسائي (١/ ٢٧٥) ، وابن ماجه (١٢٥٣) .

وأمَّا بعدَ فريضةِ الصبحِ . . فتكرَهُ كلُّ صلاةٍ لا سببَ لها ، وبعدَ الصبحِ الأحبُّ أن يقتصرَ علىٰ ركعتيِ الفجرِ وتحيَّةِ المسجدِ ، ولا يشتغلَ بالصلاةِ ، بلْ بالأذكارِ والقراءةِ والدعاءِ والفكرِ .

❀ ❀ ❀

الوردُ الثالثُ : مِنْ ضحوةِ النهارِ إلى الزوالِ :

ونعني بالضحوةِ المنتصفَ وما قبلَهُ بقليلٍ وكأنَّ بعدَ كلِّ ثلاثِ ساعاتٍ أمرٌ بصلاةٍ ؛ فإذا انقضىٰ ثلاثُ ساعاتٍ بعدَ الطلوعِ . . فعندَها وقبيلَ مضيِّها صلاةُ الضحىٰ ، فإذا مضتْ ثلاثٌ أخرىٰ . . فالظهرُ ، فإذا مضتْ ثلاثٌ أخرىٰ . . فالعصرُ ، فإذا مضتْ ثلاثٌ أخرىٰ . . فالمغربُ[1] .

ومنزلةُ الضحىٰ بينَ الزوالِ والطلوعِ كمنزلةِ العصرِ بينَ الزوالِ والغروبِ ، إلا أنَّ الضحىٰ لمْ تُفترضْ ؛ لأنَّهُ وقتُ إكبابِ الناسِ علىٰ أشغالِهِمْ ، فخُفِّفَ عنهُمْ .

والوظيفةُ في هـٰذا الوقتِ الأقسامُ الأربعةُ ، ويزيدُ أمرانِ :

ـ **أحدُهما** : الاشتغالُ بالكسبِ ، وتدبيرِ المعاشِ ، وحضورِ السوقِ : فإنْ كانَ تاجراً . . فينبغي أنْ يتَّجرَ بصدْقٍ وأمانةٍ ، وإنْ كانَ صاحبَ صناعةٍ . .

---

(١) حينئذٍ ، وبه كملت اثنتا عشرة ساعة من النهار العرفي . « إتحاف » (٥/ ١٤٢) .

فبنصْحٍ وشفقةٍ ، ولا ينسىٰ ذكرَ اللهِ تعالىٰ في جميعِ أشغالِهِ ، ويقتصرُ مِنَ الكسبِ علىٰ قدْرِ حاجتِهِ ليومِهِ مهما قدرَ علىٰ أنْ يكتسبَ في كلِّ يومٍ لقوتِهِ[1] .

فإذا حصلتْ كفايةُ يومِهِ . . فليرجعْ إلىٰ بيتِ ربِّهِ عزَّ وجلَّ ، وليتزودْ لآخرتِهِ ؛ فإنَّ الحاجةَ إلىٰ زادِ الآخرةِ أشدُّ ، والتمتُّعَ بهِ أدومُ ، فالاشتغالُ بكسبِهِ أهمُّ مِنْ طلبِ الزيادةِ علىٰ حاجةِ الوقتِ ؛ فقدْ قيلَ : (لا يوجدُ المؤمنُ إلا في ثلاثِ مواطنَ : مسجدٌ يعمُرُهُ ، أوْ بيتٌ يسترُهُ ، أوْ حاجةٌ لا بدَّ لهُ منها)[2] ، وقلَّ مَنْ يعرفُ القدرَ فيما لا بدَّ منهُ ، بلْ أكثرُ الناسِ يقدِّرونَ فيما عنهُ بدٌّ أنَّهُ لا بدَّ لهُمْ منهُ ، وذلكَ لأنَّ الشيطانَ يعدُهُمُ الفقرَ ويأمُرُهُمْ بالفحشاءِ ، فيصغونَ إليهِ ، ويجمعونَ ما لا يأكلونَ ؛ خيفةَ الفقرِ ، واللهُ يعدُهُمْ مغفرةً منهُ وفضلاً ، فيعرضونَ عنهُ ، ولا يرغبونَ فيهِ .

ـ **الأمرُ الثاني** : القيلولةُ : وهيَ سنَّةٌ ليستعينَ بها علىٰ قيامِ الليلِ ، كما أنَّ التسحُّرَ سنَّةٌ ليستعينَ بهِ علىٰ صيامِ النهارِ[3] ، فإنْ كانَ لا يقومُ بالليلِ ولكنْ

---

(١) وقوت عياله ، وإن أمكن أن يكتسب قوت يومين أو ثلاثة أو أكثر ، فيجعل بقية أيامه للذكر والعبادة . . فلا بأس . « إتحاف » (٥/ ١٤٢) .

(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ٢١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٤١) عن قتادة ، وروى الترمذي (٢٣٤١) مرفوعاً : « ليس لابن آدم حق في سوىٰ هٰذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يواري عورته ، وجلف الخبز والماء » .

(٣) روى ابن ماجه (١٦٩٣) مرفوعاً : « استعينوا بطعام السحر علىٰ صيام النهار ، =

لو لمْ ينمْ لمْ يشتغلْ بخيرٍ وربما خالطَ أهلَ الغفلةِ وتحدَّثَ معهُمْ . . فالنومُ أحبُّ لهُ إذا كانَ لا ينبعثُ نشاطُهُ للرجوعِ إلى الأذكارِ والوظائفِ المذكورةِ ؛ إذْ في النومِ الصمتُ والسلامةُ .

وقدْ قالَ بعضُهُمْ : (يأتي على الناسِ زمانٌ الصمتُ والنومُ فيهِ أفضلُ أعمالِهِمْ)[1] .

وكمْ مِنْ عابدٍ أحسنُ أحوالِهِ النومُ ، وذلكَ إذا كانَ يرائي بعبادتِهِ ولا يخلصُ فيها ، فكيفَ بالغافلِ الفاسقِ ؟!

قالَ سفيانُ الثوريُّ رحمهُ اللهُ : (كانَ يعجبُهُمْ إذا تفرَّغوا أنْ يناموا طلباً للسلامةِ)[2] .

فإذاً ؛ نومُهُ علىٰ قصْدِ طلبِ السلامةِ ونيَّةِ قيامِ الليلِ قربةٌ ، ولكنْ ينبغي أنْ يتنبَّهَ قبيلَ الزوالِ بقدْرِ الاستعدادِ للصلاةِ بالوضوءِ وحضورِ المسجدِ قبلَ دخولِ وقتِ الصلاةِ ؛ فإنَّ ذلكَ مِنْ فضائلِ الأعمالِ ، وإنْ لمْ ينمْ ولمْ يشتغلْ بالكسبِ واشتغلَ بالصلاةِ والذكرِ . . فهوَ أفضلُ أعمالِ النهارِ ؛ لأنَّهُ وقتُ غفلةِ الناسِ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ واشتغالِهِمْ بهمومِ الدنيا ، فالقلبُ المتفرِّغُ لخدمةِ ربِّهِ عندَ إعراضِ العبيدِ عنْ بابِهِ جديرٌ بأنْ

= وبالقيلولة علىٰ قيام الليل » ، **والقيلولة** : النوم أو الاستراحة وقت الظهيرة .

(١) قوت القلوب (١/ ٩٦) .

(٢) قوت القلوب (١/ ١٦) .

يزكِّيهُ اللهُ تعالىٰ ويصطفيهُ لقربهِ ومعرفتِهِ .

وفضلُ ذلكَ كفضلِ إحياءِ الليلِ ، فإنَّ الليلَ وقتُ الغفلةِ بالنومِ ، وهـٰذا وقتُ الغفلةِ باتباعِ الهوىٰ والاشتغالِ بهمومِ الدنيا ، وأحدُ معنيي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾ أيْ : يخلفُ أحدُهُما الآخرَ في الفضلِ ، والثاني : أنَّهُ يخلفُهُ فيتداركُ فيهِ ما فاتَ في أحدِهِما[1] .

❀ ❀ ❀

الوردُ الرابعُ : ما بينَ الزوالِ إلى الفراغِ مِنْ صلاةِ الظهرِ وراتبتِهِ :

وهوَ أقصرُ أورادِ النهارِ وأفضلُها ، فإذا كانَ قدْ توضَّأَ قبلَ الزوالِ ، وحضرَ المسجدَ فمهما زالتِ الشمسُ ، وابتدأَ المؤذِّنُ الأذانَ . . فليصبرْ إلى الفراغِ مِنْ جوابِ أذانِهِ ، ثمَّ ليقمْ إلىٰ إحياءِ ما بينَ الأذانِ والإقامةِ ، فهوَ وقتُ الإظهارِ الذي أرادَهُ اللهُ تعالىٰ بقولِهِ : ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾[2] ، وليصلِّ في هـٰذا الوقتِ أربعَ ركعاتٍ لا يفصلُ بينهُنَّ بتسليمٍ ، وهـٰذهِ الصلاةُ وحدَها مِنْ بينِ سائرِ صلواتِ النهارِ نُقِلَ أنَّهُ يصلِّيها بتسليمةٍ واحدةٍ[3] ، ولكنْ طُعِنَ في

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في « تفسيره » (١١/١٩/٣٩) عن عمر وابن عباس والحسن رضي الله عنهم .

(٢) قوت القلوب (١/١٦ ، ١٧) .

(٣) روىٰ ذلك أبو داوود (١٢٧٠) ، والترمذي (٤٧٨) تعليقاً ، وابن ماجه (١١٥٧) .

تلكَ الروايةِ ، هـٰكذا قالَهُ بعضُ العلماءِ[1] ، ومذهبُ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ يصلِّي مثنىٰ مثنىٰ كسائرِ النوافلِ ، ويفصلُ بتسليمةٍ ، وهوَ الذي صحَّتْ بهِ الأخبارُ[2] .

وليطوِّلْ هـٰذهِ الركعاتِ ، إذْ فيها تفتحُ أبوابُ السماءِ كما أوردنا الخبرَ فيهِ في بابِ صلاةِ التطوعِ[3] ، وليقرأْ فيها (سورةَ البقرةِ) أوْ سورتينِ مِنَ المئينَ ، أوْ أربعاً مِنَ المثاني[4] ، فهـٰذهِ ساعةٌ يُستجابُ فيها الدعاءُ ، وأحبَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يُرفعَ لهُ فيها عملٌ[5] .

ثمَّ يصلِّي الظهرَ بجماعةٍ بعدَ أربعِ ركعاتٍ طويلةٍ كما سبقَ أوْ قصيرةٍ ، ولا ينبغي أنْ يدعَها .

---

(١) الضمير في قوله : (قاله) عائد إلىٰ أنه يصليها متصلة بتسليمة واحدة ، « قوت القلوب » (١/ ١٦) .

(٢) إشارة إلىٰ حديث أبي داوود (١٢٩٥) ، والترمذي (٥٩٧) ، والنسائي (٣/ ٢٢٧) ، وابن ماجه (١٣٢٢) مرفوعاً : « صلاة الليل والنهار مثنىٰ مثنىٰ » ، أو مطلق الخبر الذي رواه البخاري (٤٧٢) ، ومسلم (٧٤٩) مرفوعاً : « صلاة الليل مثنىٰ مثنىٰ » .

(٣) رواه الترمذي (٤٧٨) عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه ، وقال : (وفي الباب عن علي وأبي أيوب) ، وهو عن أبي أيوب عند أحمد في « مسنده » (٥/ ٤١٦) .

(٤) قوت القلوب (١/ ١٦) .

(٥) رواه الترمذي (٤٧٨) عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه ، وقال : (وفي الباب عن علي وأبي أيوب) ، وهو عن أبي أيوب عند أحمد في « مسنده » (٥/ ٤١٦) .

ثمَّ ليصلِّ بعدَ الظهرِ ركعتينِ ثمَّ أربعاً ، إذْ كرهَ ابنُ مسعودٍ أنْ تتبعَ الفريضةُ بمثلِها مِنْ غيرِ فاصلٍ[1] .

ويُستحبُّ أنْ يقرأَ في هـٰذهِ النافلةِ آيةَ الكرسيِّ ، وآخرَ (سورةِ البقرةِ) ، والآياتِ التي أوردناها في الوردِ الأوَّلِ ؛ ليكونَ ذلكَ جامعاً لهُ بينَ الدعاءِ والذكرِ والقراءةِ والصلاةِ والتحميدِ والتسبيحِ معَ شرفِ الوقتِ .

❁ ❁ ❁

الوِردُ الخامسُ : ما بعدَ ذلكَ إلى العصرِ :

ويستحبُّ فيهِ العكوفُ في المسجدِ مشتغلاً بالذكرِ والصلاةِ وفنونِ الخيرِ ، ويكونُ في انتظارِ الصلاةِ معتكفاً ، فمِنْ فضائلِ الأعمالِ انتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ ، وكانَ ذلكَ سنَّةَ السلفِ ، كانَ الداخلُ يدخلُ المسجدَ بينَ الظهرِ والعصرِ ، فيسمعُ للمصلِّينَ دويّاً كدويِّ النحلِ مِنَ التلاوةِ ، فإنْ كانَ بيتُهُ أسلمَ لدينِهِ وأجمعَ لهمِّهِ . . فالبيتُ أفضلُ في حقِّهِ .

وإحياءُ هـٰذا الوِردِ ـ وهوَ أيضاً وقتُ غفلةِ الناسِ ـ كإحياءِ الوِردِ الثالثِ في الفضلِ ، وفي هـٰذا الوقتِ يُكرهُ النومُ لمَنْ نامَ قبلَ الزوالِ ، إذْ يُكرهُ نومتانِ بالنهارِ ، قالَ بعضُ العلماءِ : (ثلاثٌ يمقتُ اللهُ عزَّ وجلَّ عليها : الضحكُ بغيرِ عجبٍ ، والأكلُ مِنْ غيرِ جوعٍ ، ونومٌ بالنهارِ مِنْ غيرِ سهرٍ بالليلِ)[2] .

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣١) .

(٢) قوت القلوب (١/ ١٧) وبمعناه روى الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٣١٨) .

والحدُّ في النومِ : أنَّ الليلَ والنهارَ أربعٌ وعشرونَ ساعةً ، فالاعتدالُ في نومِهِ ثماني ساعاتٍ في الليلِ والنهارِ جميعاً ، فإنْ نامَ هـٰذا القدْرَ بالليلِ . . فلا معنىٰ للنومِ بالنهارِ ، وإنْ نقصَ منهُ مقداراً . . استوفاهُ بالنهارِ ، فحسْبُ ابنِ آدمَ إنْ عاشَ ستينَ سنةً أنْ ينقصَ مِنْ عمرِهِ عشرونَ سنةً ، ومهما نامَ ثمانيَ ساعاتٍ وهوَ الثلثُ . . فقدْ نقصَ مِنْ عمرِهِ الثلثُ ، ولكنْ لمَّا كانَ النومُ غذاءً للروحِ كما أنَّ الطعامَ غذاءٌ للبدنِ ، وكما أنَّ العلمَ والذكرَ غذاءٌ للقلبِ . . لمْ يمكنْ قطعُهُ عنهُ[1] ، وقدرُ الاعتدالِ هـٰذا ، والنقصانُ منهُ ربَّما يفضي إلى اضطرابِ البدنِ ، إلاَّ مَنْ يتعوَّدُ السهرَ تدريجاً ، فقدْ يمرِّنُ نفسَهُ عليهِ مِنْ غيرِ اضطرابٍ[2] .

وهـٰذا الوِردُ هوَ مِنْ أطولِ الأورادِ ، وأمتعِها للعُبَّادِ ، وهوَ أحدُ الآصالِ التي ذكرَها اللهُ تعالىٰ إذْ قالَ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ ، وإذا سجدَ للهِ عزَّ وجلَّ الجماداتُ . . فكيفَ يجوزُ أنْ يغفُلَ العبدُ العاقلُ عنْ أنواعِ العباداتِ ؟!

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (١٠٢٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٣٧) من قول معاذ رضي الله عنه .

(٢) قوت القلوب (١/ ١٧) .

الوِردُ السادسُ : إذا دخلَ وقتُ العصرِ . . دخلَ وقتُ الوِردِ السادسِ :

وهوَ الذي أقسمَ اللهُ تعالىٰ بهِ إذْ قالَ تعالىٰ : ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ هٰذا أحدُ معنيي الآيةِ ، وهوَ المرادُ بالآصالِ في أحدِ التفسيرينِ ، وهوَ العشيُّ المذكورُ في قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿وَعَشِيًّا﴾ ، وفي قولِهِ : ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ .

وليسَ في هٰذا الوردِ صلاةٌ إلا أربعُ ركعاتٍ بينَ الأذانينِ[1] كما سبقَ في الظهرِ ، ثمَّ يصلِّي الفرضَ ويشتغلُ بالأقسامِ الأربعةِ المذكورةِ في الوِردِ الأوَّلِ إلىٰ أنْ ترتفعَ الشمسُ إلىٰ رؤوسِ الحيطانِ وتصفرَّ .

والأفضلُ فيهِ إذْ منعَ عنِ الصلاةِ تلاوةُ القرآنِ بتدبُّرٍ وتفهُّمٍ ؛ إذْ يجمعُ ذلكَ معنى الذكرِ والدعاءِ والفكرِ ، فيندرجُ في هٰذا القسمِ أكثرُ مقاصدِ الأقسامِ الثلاثةِ .

الوِردُ السابعُ : إذا اصفرَّتِ الشمسُ :

بأنْ تقربَ مِنَ الأرضِ بحيثُ يغطِّي نورَها الغباراتُ والبخاراتُ التي علىٰ وجهِ الأرضِ ، ويُرىٰ صفرةٌ في ضوئِها . . دخلَ هٰذا الوِردُ ، وهوَ مثلُ الوِردِ الأوَّلِ مِنْ طلوعِ الفجرِ إلىٰ طلوعِ الشمسِ ؛ لأنَّهُ قبلَ الغروبِ ، كما أنَّ

---

(١) أي : بين الأذان والإقامة لصلاة العصر كما في نسخة الحافظ الزبيدي .

ذلكَ قبلَ الطلوعِ ، وهوَ المرادُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ ، وهوَ الطرفُ الثاني المرادُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ .

قالَ الحسنُ رحمهُ اللهُ : (كانوا أشدَّ تعظيماً للعشيِّ منهُمْ لأوَّلِ النهارِ)[1] .

وقالَ بعضُ السلفِ : (كانوا يجعلونَ أوَّلَ النهارِ للدنيا وآخرَهُ للآخرةِ)[2] .

فيُستحبُّ في هٰذا الوقتِ التسبيحُ والاستغفارُ خاصَّةً وسائرُ ما ذكرناهُ في الوِردِ الأوَّلِ ، مثلَ أنْ يقولَ : (أستغفرُ اللهَ الذي لا إلٰهَ إلا هوَ الحيَّ القيُّومَ وأسألُهُ التوبةَ ، وسبحانَ اللهِ العظيمِ وبحمدِهِ) مأخوذٌ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ ، والاستغفارُ على الأسماءِ التي في القرآنِ أحبُّ ؛ كقولِهِ : أستغفرُ اللهَ إنَّهُ كانَ غفَّاراً ، أستغفرُ اللهَ إنَّهُ كانَ توَّاباً ، ربِّ اغفرْ وارحمْ وأنتَ خيرُ الراحمينَ ، فاغفرْ لنا وارحمْنا وأنتَ خيرُ الراحمينَ ، فاغفرْ لنا وارحمْنا وأنتَ خيرُ الغافرينَ[3] .

---

(١) قوت القلوب (١/ ١٨) .
(٢) قوت القلوب (١/ ١٨) .
(٣) قوت القلوب (١/ ١٨) .

ويُستحبُّ أنْ يقرأَ قبلَ غروبِ الشمسِ (والشمسِ وضحاها) ، (والليلِ إذا يغشىٰ) ، والمعوِّذتينِ ، ولتغربِ الشمسُ عليهِ وهوَ في الاستغفارِ .

فإذا سمعَ الأذانَ . . قالَ : اللهمَّ ؛ هٰذا إقبالُ ليلكَ ، وإدبارُ نهارِكَ ، وأصواتُ دعاتِكَ . . . الدعاءَ كما سبقَ ، ثمَّ يجيبُ المؤذِّنَ ، ويشتغلُ بصلاةِ المغربِ .

❀ ❀ ❀

وبالغروبِ قدِ انتهتْ أورادُ النهارِ ، فينبغي أنْ يلاحظَ العبدُ أحوالَهُ ويحاسبَ نفسَهُ ، فقدِ انقضىٰ منْ طريقِهِ مرحلةٌ ، فهلْ ساوىٰ يومُهُ أمسَهُ فيكونَ مغبوناً ، أوْ كانَ شرّاً منهُ فيكونَ ملعوناً ؟ فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا بوركَ لي في يومٍ لا أزدادُ فيهِ خيراً »[1] .

فإنْ رأىٰ نفسَهُ متوفِّراً على الخيرِ جميعَ نهارِهِ ، مرفهاً عنِ التجشُّمِ . . كانتْ بشارةً ، فليشكرِ اللهَ تعالىٰ علىٰ توفيقِهِ وتسديدِهِ إيَّاهُ لطريقِهِ ، وإنْ تكنِ الأخرىٰ . . فالليلُ خلفةٌ للنهارِ ، فليعزمْ علىٰ تلافي ما سبقَ مِنْ تفريطِهِ ؛ فإنَّ الحسناتِ يذهبنَ السيئاتِ ، فليشكرِ اللهَ تعالىٰ علىٰ صحَّةِ جسمِهِ وبقاءِ بقيَّةِ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٨٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١١٠٨) واللفظ له ، ولفظه هناك : (علماً) بدل (خيراً) ، ولفظه هنا رواه الأزدي في « أوهام الحاكم » (ص٥١) .

عمرِهِ إلىٰ أوَّلِ ليلِهِ ليشتغلَ بتداركِ تقصيرِهِ .

وليحضرْ في قلبِهِ أنَّ نهارَ العمرِ لهُ آخرٌ تغربُ فيهِ شمسُ الحياةِ ، فلا يكونُ لها بعدَهُ طلوعٌ ، وعندَ ذلكَ يُغلقُ بابُ التداركِ والاعتذارِ ، فليسَ العمرُ إلا أياماً معدودةً تنقضي ـ لا محالةَ ـ جملتُها بانقضاءِ آحادِها .

بيان أوراد الليل وهي خمسة

الأوَّلُ : إذا غربتِ الشمسُ.. صلَّى المغربَ ، واشتغلَ بإحياءِ ما بينَ العشاءينِ :

فآخرُ هـٰذا الوِردِ عندَ غيبوبةِ الشفقِ ؛ أعني : الحمرةَ التي بغيبوبتِها يدخلُ وقتُ العشاءِ الآخرةِ ، وقدْ أقسمَ اللهُ تعالىٰ بهِ فقالَ : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ ، والصلاةُ فيهِ هيَ ناشئةُ الليلِ ، لأنَّهُ أوَّلُ نشوءِ ساعاتِهِ ، وهوَ إنْيٌ مِنَ الآناءِ المذكورةِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ﴾ ، وهيَ صلاةُ الأوَّابينَ ، وهيَ المرادُ بقولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ ، رُوِيَ ذلكَ عنِ الحسنِ رحمهُ اللهُ ، وأسندَهُ ابنُ أبي زيادٍ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ سئلَ عنْ هـٰذهِ الآيةِ فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الصلاةُ بينَ العشاءينِ » ، ثمَّ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عليكُمْ بالصلاةِ بينَ العشاءَينِ ؛ فإنَّها تذهبُ بملاغاتِ النهارِ وتهذِّبُ آخرَهُ »[1] ، والملاغاتُ : جمعُ ملغاةٍ ، مِنَ اللغوِ .

---

(١) رواية الحسن وابن أبي زياد نصَّ عليهما أبو طالب في « القوت » (١/ ١٩) ، والحديث رواه الديلمي كما في « الفردوس » (٤٠٢٩) ، وانظر « الإتحاف » (٥/ ١٥١) ، و« فيض القدير » (٤/ ٣٤٤) ، وروى الترمذي (٣١٩٦) : عن أنس رضي الله عنه قال : (نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة) .

وسئلَ أنسٌ رحمهُ اللهُ عمَّنْ ينامُ بينَ العشاءينِ فقالَ : لا تفعلْ ؛ فإنَّها الساعةُ المعنيَّةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[1] .

وسيأتي فضْلُ إحياءِ ما بينَ العشاءينِ في البابِ الثاني .

وترتيبُ هٰذا الوِردِ :

أنْ يصلِّيَ بعدَ المغربِ ركعتينِ أوَّلاً ، يقرأُ فيهما : (قلْ يا أيُّها الكافرونَ) و(قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، ويصلِّيهما عَقيبَ المغربِ ، مِنْ غيرِ تخلُّلِ كلامٍ ولا شغلٍ ، ثمَّ يصلِّي أربعاً يطيلُها ، ثمَّ يصلِّي إلىٰ غيبوبةِ الشفقِ ما تيسَّرَ لهُ .

وإنْ كانَ المسجدُ قريباً مِنَ المنزلِ . . فلا بأسَ أنْ يصلِّيَها في بيتِهِ إنْ لمْ يكنْ عزمُهُ العكوفَ في المسجدِ ، وإنْ عزمَ على العكوفِ في انتظارِ العتمةِ . . فهوَ الأفضلُ إذا كانَ آمناً مِنَ التصنُّعِ والرياءِ .

الوِردُ الثاني : يدخلُ بدخولِ وقتِ العشاءِ الآخرةِ إلىٰ حدِّ نومةِ الناسِ :

وهوَ أوَّلُ استحكامِ الظلامِ ، وقدْ أقسمَ اللهُ تعالىٰ بهِ إذْ قالَ : ﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ أيْ : وما جمعَ مِنْ ظلمتِهِ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ ، فهناكَ يغسقُ الليلُ وتُستوسقُ ظلمتُهُ .

---

(١) قوت القلوب (١/ ١٩) بنحوه ، وقريب منه ما روي عنه في التعليق السابق .

وترتيبُ هـٰذا الوردِ بمراعاةِ ثلاثةِ أمورٍ :

الأوَّلُ : أنْ يصلِّيَ سوىٰ فرضِ العشاءِ عشرَ ركعاتٍ : أربعاً قبلَ الفرضِ ؛ إحياءً لما بينَ الأذانينِ[1] ، وستّاً بعْدَ الفرضِ ؛ ركعتينِ ، ثمَّ أربعاً ، ويقرأُ فيها مِنَ القرآنِ الآياتِ المخصوصةَ ؛ كآخرِ (البقرةِ) وآيةِ الكرسيِّ وأوَّلِ (الحديدِ) وآخرِ (الحشرِ) وغيرِها .

والثاني : أنْ يصلِّيَ ثلاثَ عشرةَ ركعةً آخرُهُنَّ الوترُ ، فإنَّهُ أكثرُ ما رُوِيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صلَّىٰ بها منَ الليلِ[2] .

والأكياسُ يأخذونَ أوقاتَهُمْ مِنْ أوَّلِ الليلِ ، والأقوياءُ مِنْ آخرِهِ ، والحزمُ التقديمُ ، فإنَّهُ ربما لا يستيقظُ أوْ يثقلُ عليهِ القيامُ ، إلا إذا صارَ ذلكَ عادةً لهُ ، فآخرُ الليلِ أفضلُ[3] .

ثمَّ ليقرأْ في هـٰذهِ الصلاةِ قدْرَ ثلاثِ مئةِ آيةٍ مِنَ السورِ المخصوصةِ التي كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يكثرُ قراءتَها ؛ مثلَ (يس)، و(سجدةِ لقمانَ)[4] ، و(سورةِ الدخانِ) ، و(تبَارَكَ الملكَ) ، و(الزمرِ) ، و(الواقعةِ) .

---

(١) أي : الأذان والإقامة لصلاة العشاء .

(٢) روىٰ أبو داوود (١٣٦٢) عن عائشة رضي الله عنها : (ولم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة) .

(٣) روىٰ أبو داوود (١٤٣٤) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « متىٰ توتر ؟ » قال : أوتر من أول الليل ، وقال لعمر : « متىٰ توتر ؟ » قال : آخر الليل ، فقال لأبي بكر : « أخذ هـٰذا بالحزم » ، وقال لعمر : « أخذ هـٰذا بالقوة » .

(٤) أي : سورة السجدة . انظر « بصائر ذوي التمييز » (١/ ٣٧٣) .

فإنْ لمْ يصلِّ . . فلا يدعْ قراءةَ هـٰذهِ السورِ أوْ بعضِها قبلَ النومِ ، فقد رُوي في ثلاثةِ أحاديثَ ما كانَ يقرؤُهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في كلِّ ليلةٍ، أشهرُها: (السجدةُ)، و(تباركَ الملكَ)[1]، و(الزمرُ) و(الواقعةُ)، وفي روايةٍ : (الزمرُ) و(بني إسرائيلَ)[2] ، وفي أُخرىٰ : أنَّهُ كانَ يقرأُ المسبِّحاتِ[3] في كلِّ ليلةٍ ويقولُ : « فيها آيةٌ أفضلُ مِنْ ألفِ آيةٍ »[4] ، وكانَ العلماءُ يجعلونَها ستّاً فيزيدونَ (سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلىٰ) ؛ إذْ في الخبرِ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يحبُّ (سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلىٰ)[5] ، وكانَ يقرأُ في ثلاثِ ركعاتِ الوترِ ثلاثَ سورٍ : (سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلىٰ) و(قلْ يا أيُّها الكافرونَ) و(الإخلاصَ) ، فإذا فرغَ . . قالَ : « سبحانَ الملكِ القدوسِ » ثلاثَ مرَّاتٍ[6] .

---

(١) روى الترمذي (٣٤٠٤) عن جابر رضي الله عنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتىٰ يقرأ بـ « تنزيل السجدة » و« تبارك ») .

(٢) روى الترمذي (٣٤٠٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتىٰ يقرأ « الزمر » و« بني إسرائيل ») ، و(سورة بني إسرائيل) هي (سورة الإسراء) .

(٣) وهي خمس سور : الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة ، والتغابن .

(٤) رواه أبو داوود (٥٠٥٧) ، والترمذي (٢٩٢١) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٧٩٧٢) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٩٦) .

(٦) رواه أبو داوود (١٤٢٣) ، والنسائي (٣/ ٢٤٤) واللفظ عنده ، وابن ماجه (١١٧١) .

الثالثُ : الوترُ ، وليوترْ قبلَ النومِ إنْ لمْ يكنْ عادتُهُ القيامَ ، قالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : (أوصاني خليلي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ألاَّ أنامَ إلا علىٰ وترٍ)[1] .

وإنْ كانَ معتاداً صلاةَ الليلِ . . فالتأخيرُ أفضلُ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « صلاةُ الليلِ مثنىٰ مثنىٰ ، فإذا خفتَ الصبحَ . . فأوترْ بركعةٍ »[2] .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (أوترَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أوَّلَ الليلِ وأوسطَهُ وآخرَهُ ، وانتهىٰ وترُهُ إلى السحرِ)[3] .

وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : (الوترُ علىٰ ثلاثةِ أنحاءٍ : إنْ شئتَ . . أوترتَ أوَّلَ الليلِ ثمَّ صلَّيتَ ركعتينِ ركعتينِ - يعني : أنَّهُ يصيرُ وتراً بما مضىٰ - وإنْ شئتَ . . أوترتَ بركعةٍ ، فإذا استيقظتَ . . شفعتَ إليها أخرىٰ ثمَّ أوترتَ مِنْ آخرِ الليلِ ، وإنْ شئتَ أخَّرتَ الوترَ ليكونَ آخرَ صلاتِكَ)[4] ، هٰذا ما رُوي عنهُ ، والطريقُ الأوَّلُ والثالثُ لا بأسَ بهِ .

وأمَّا نقضُ الوترِ[5] . . فقدْ صحَّ فيهِ نهيٌ ، فلا ينبغي أنْ ينقضَ[6] ،

---

(١) رواه البخاري (١٩٨١) ، ومسلم (٧٢١) .
(٢) رواه البخاري (٤٧٢) ، ومسلم (٧٤٩) .
(٣) رواه البخاري (٩٩٦) ، ومسلم (٧٤٥) واللفظ له .
(٤) قوت القلوب (١/ ٣١) .
(٥) وهو الطريق الثاني ؛ كمن أوتر بأول الليل ، ثم شفع ، ثم أوتر من آخره .
(٦) والنهي رواه البخاري (٤١٧٦) عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه وقد سئل عن نقض الوتر فقال : (إذا أوترت من أوله . . فلا توتر من آخره) .

ورُوِيَ مطلقاً أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لا وترانِ في ليلةٍ »[١] .

ولِمَنْ يتردَّدُ في استيقاظهِ تلطفٌ استحسنَهُ بعضُ العلماءِ ، وهوَ أنْ يصلِّيَ بعدَ الوترِ ركعتينِ جالساً علىٰ فراشِهِ عندَ النومِ ، كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يزحفُ إلىٰ فراشِهِ ويصلِّيهما ، ويقرأُ فيهما : (إذا زلزلت) ، و(ألهاكم) ؛ لما فيهما مِنَ التحذيرِ والوعيدِ ، وفي روايةٍ : (قلْ يا أيُّها الكافرونَ) ؛ لما فيها مِنَ التبرئةِ وإفرادِ العبادةِ للهِ عزَّ وجلَّ[٢] ، فقيلَ : إنِ استيقظَ . . قامتا مقامَ ركعةٍ واحدةٍ ، وكانَ لهُ أنْ يوترَ بواحدةٍ في آخرِ صلاةِ الليلِ ، وكأنَّهُ صارَ ما مضىٰ شفعاً بهما وحسنَ استئنافُ الوترِ ، واستحسنَ هٰذا أبو طالبٍ المكيُّ رحمهُ اللهُ وقالَ : (فيهِ ثلاثةُ أعمالٍ : قصرُ الأملِ ، وتحصيلُ الوترِ ، والوترُ مِنْ آخرِ الليلِ)[٣] .

وهوَ كما ذكرَهُ ، لكنْ ربما يخطرُ أنَّهُما لوْ شَفعَتا ما مضىٰ . . لكانَ كذلكَ وإنْ لمْ يستيقظْ[٤] ، ولبطلَ وترُهُ الأوَّلُ ، فكونُهُ مُشفعاً إنِ استيقظَ غيرَ مُشفعٍ إنْ نامَ . . فيهِ نظرٌ ، إلا أنْ يصحَّ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إيتارُهُ قبلَهُما وإعادتُهُ الوترَ ، فيفهمُ منهُ أنَّ الركعتينِ شفعٌ بصورتِهما وترٌ بمعناهُما ،

---

(١) رواه أبو داوود (١٤٣٩) ، والترمذي (٤٧٠) ، والنسائي (٣/ ٢٢٩) .

(٢) ورد قراءة السور الثلاث المذكورة معاً في الوتر عند أحمد في « المسند » (١/ ٨٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ٣٣) ، ولم يذكرا الزحف إلى الفراش ، والسياق لصاحب « القوت » (١/ ٢٠) .

(٣) قوت القلوب (١/ ٢٠) .

(٤) أي : إنهما تشفعان صلاته الماضية استيقظ أم لم يستيقظ .

فيحسَبُ وتراً إنِ استيقظَ وشفعاً إنْ لمْ يستيقظْ .

ثمَّ يُستحبُّ بعدَ التسليمِ مِنَ الوترِ أنْ يقولَ : (سبحانَ الملكِ القدوسِ ، ربِّ الملائكةِ والروحِ ، جلَّلتَ السماواتِ والأرضَ بالعظمةِ والجبروتِ ، وتعزَّزتَ بالقدرةِ ، وقهرتَ العبادَ بالموتِ)[1] .

ورُوي أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما ماتَ حتَّىٰ كانَ أكثرُ صلاتِهِ جالساً إلا المكتوبةَ[2] ، وقدْ قالَ : « للقاعدِ نصفُ أجرِ القائمِ ، وللنائمِ نصفُ أجرِ القاعدِ »[3] ، وذلكَ يدلُّ علىٰ صحةِ النافلةِ نائماً[4] .

❁ ❁ ❁

الوردُ الثالثُ : النومُ :

ولا بأسَ أنْ يعدَّ ذلكَ في الأورادِ ؛ فإنَّهُ إذا روعيتْ آدابُهُ . . احتسبَ عبادةً ، فقدْ نُقِلَ أنَّهُ إذا نامَ العبدُ علىٰ طهارةٍ ذاكراً للهِ تعالىٰ . . يكتبُ مصلِّياً حتَّىٰ يستيقظَ ، ويدخُلُ في شعارِهِ ملكٌ[5] ، فإنْ تحرَّكَ في نومِهِ فذكرَ اللهَ عزَّ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٢٠) ، والجملة الأولىٰ منه رواها أبو داوود (١٤٣٠) ، والنسائي (٣/ ٢٤٤) .

(٢) رواه البخاري (٥٩٠) ، ومسلم (٧٣٢) ، ولفظه عن عائشة رضي الله عنها : (لمَّا بَدَّنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل . . كان أكثر صلاته جالساً) ، **وبَدَّن** : أَسَنَّ .

(٣) رواه البخاري (١١١٥) .

(٤) أي : مضطجعاً على الفراش كهيئة النائم . « إتحاف » (٥/ ١٥٧) .

(٥) **شعاره** : لباسه المتصل ببدنه .

وجلَّ . . دعا لهُ الملكُ واستغفرَ لهُ اللهُ[١] .

وفي الخبرِ أنَّهُ إذا نامَ العبدُ علىٰ طهارةٍ . . رُفِعَ روحُهُ إلى العرشِ[٢] .

هـٰذا في العوامِّ ، فكيفَ بالخواصِّ والعلماءِ وأربابِ القلوبِ الصافيةِ ؟ فإنَّهُمْ يكاشَفونَ بالأسرارِ في النومِ ، ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نومُ العالمِ عبادةٌ ، ونفسُهُ تسبيحٌ »[٣] .

وقالَ معاذٌ لأبي موسىٰ رضيَ اللهُ عنهُما : كيفَ تصنعُ في قيامِ الليلِ ؟ فقالَ : أقومُ الليلَ أجمعَ ، لا أنامُ منهُ شيئاً ، وأتفوَّقُ القرآنَ فيهِ تفوُّقاً[٤] ، قالَ معاذٌ : لكنِّي أنامُ ثمَّ أقومُ ، وأحتسبُ في نومتي ما أحتسبُ في قومتي ، فذكرَا ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « معاذٌ أفقهُ منكَ »[٥] .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٤٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٠٥١) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٤٥) موقوفاً علىٰ أبي الدرداء رضي الله عنه ، ولفظه : (إذا نام الإنسان . . عرج بروحه حتىٰ يؤتىٰ بها إلى العرش ، فإن كان طاهراً . . أذن لها بالسجود ، وإن كان جنباً . . لم يؤذن لها بالسجود) .

(٣) رواه الديلمي في « مسند الفردوس » (٦٧٣١) ، ويشهد للجملة الأولىٰ منه ما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣٨٥) مرفوعاً : « نوم علىٰ علم خير من صلاة علىٰ جهل » .

(٤) أي : ألازم قراءته ليلاً ونهاراً شيئاً بعد شيءٍ ، وحيناً بعد حين . « فتح الباري » (٨/ ٦٢) .

(٥) رواه البخاري (٤٣٤٢) ، ومسلم (١٨٢٤) ، دون قوله : « معاذ أفقه منك » ، وروىٰ عبد الرزاق في « المصنف » (٣/ ٣٥٧) : (فكأن معاذ بن جبل فضل عليه) ، وروىٰ أبو إسماعيل الهروي في « ذم الكلام وأهله » (٤٣٤) : (فكان معاذ أفضل منه) .

وآدابُ النومِ عشرةٌ :

الأوّلُ : الطهارةُ والسواكُ : قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا نامَ العبدُ علىٰ طهارةٍ . . عُرِجَ بروحِهِ إلى العرشِ ، فكانتْ رؤياهُ صادقةً ، وإنْ لمْ ينمْ علىٰ طهارةٍ . . قصرتْ روحُهُ عنِ البلوغِ ، فتلكَ المناماتُ أضغاثُ أحلامٍ لا تصدقُ »[1] ، وهٰذا أريدَ بهِ طهارةُ الظاهرِ والباطنِ جميعاً ، وطهارةُ الباطنِ هيَ المؤثرةُ في انكشافِ حُجُبِ الغيبِ .

الثاني : أنْ يعدَّ عندَ رأسِهِ سواكهُ وطهورَهُ ، وينويَ القيامَ للعبادةِ عندَ التيقُّظِ : وكلَّما انتبهَ . . استاكَ ، كذلكَ كانَ يفعلُ بعضُ السلفِ[2] ، ورُوي عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ كانَ يستاكُ في كلِّ ليلةٍ مراراً عندَ كلِّ نومةٍ ، وعندَ التنبُّهِ منها[3] .

وإنْ لمْ تتيسَّرْ لهُ الطهارةُ . . يستحبُّ لهُ مسحُ الأعضاءِ بالماءِ[4] ، فإنْ لمْ

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » (٥٢١٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٣٩٦/٤) بنحوه ، ولفظه عند صاحب « القوت » (١/ ٣٤) .

(٢) قوت القلوب (١/ ٣٣) .

(٣) رواه مسلم (٧٦٣) .

(٤) أي : إن لم تتيسر له الطهارة بسبب الكسل والفتور . . فليمسح أعضاءه بالماء في تقلُّبه وانتباهاته ، ففي ذلك فضل كبير لمن ثقل نومه وقلَّ قيامه . « إتحاف » (١٥٨/٥) ، وسبقت الإشارة إلىٰ ذلك عند صاحب « القوت » (١/ ٣٣) .

يجدْ . . فليقعدْ ، وليستقبلِ القبلةَ ، وليشتغلْ بالذكرِ والدعاءِ والتفكُّرِ في آلاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ وقدرتِهِ ، فذلكَ يقومُ مقامَ قيامِ الليلِ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أتىٰ فراشَهُ وهوَ ينوي أنْ يقومَ يصلِّي مِنَ الليلِ فغلبتْهُ عيناهُ حتَّىٰ يصبحَ . . كُتِبَ لهُ ما نوىٰ ، وكانَ نومُهُ صدقةً عليهِ مِنَ اللهِ تعالىٰ »[1] .

❁ ❁ ❁

الثالثُ : ألاَّ يبيتَ مَنْ لهُ وصيةٌ إلا ووصيتُهُ مكتوبةٌ عندَ رأسِهِ : فإنَّهُ لا يأمنُ القبضَ في النومِ ، يُقالُ : إنَّ مَنْ ماتَ مِنْ غيرِ وصيةٍ . . لمْ يؤذنْ لهُ في الكلامِ بالبرزخِ إلىٰ يومِ القيامةِ ، يتزاورُهُ الأمواتُ ويتحدَّثونَ وهوَ لا يتكلَّمُ ، فيقولُ بعضُهُمْ لبعضٍ : هٰذا المسكينُ ماتَ مِنْ غيرِ وصيةٍ[2] .

وذلكَ مستحبٌّ خوفاً مِنْ موتِ الفجأةِ ، وموتُ الفجأةِ تخفيفٌ إلا لمَنْ ليسَ مستعدّاً للموتِ بكونِهِ مثقلَ الظهرِ بالمظالمِ[3] .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه النسائي (٣/ ٢٥٨) ، وابن ماجه (١٣٤٤) .

(٢) كذا في « القوت » (١/ ٣٣) ، وروى الديلمي كما في « مسند الفردوس » (٥٩٤٥) مرفوعاً : « من لم يوصِ . . لم يؤذن له في الكلام مع الموتىٰ » ، قيل : يا رسول الله ؛ ويتكلمون ؟ قال : « نعم ، ويتزاورون » . انظر « الإتحاف » (٥/ ١٥٨) .

(٣) قوت القلوب (١/ ٣٣) .

الرابعُ : أنْ ينامَ تائباً مِنْ كلِّ ذنبٍ ، سليمَ القلبِ لجميعِ المسلمينَ ، لا يحدِّثُ نفسَهُ بظلْمِ أحدٍ ، ولا يعزمُ علىٰ معصيةٍ إنِ استيقظَ : قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أوىٰ إلىٰ فراشِهِ لا ينوي ظلْمَ أحدٍ ، ولا يحقدُ علىٰ أحدٍ . . غُفرَ لهُ ما اجترمَ »(١) .

❀ ❀ ❀

الخامسُ : ألاَّ يتنعَّمَ بتمهيدِ الفُرُشِ الناعمةِ : بلْ يتركُ ذلكَ أوْ يقتصدُ فيهِ ، كانَ بعضُ السلفِ يكرهُ التمهيدَ للنومِ ويرىٰ ذلكَ تكلُّفاً ، وكانَ أهلُ الصفَّةِ لا يجعلونَ بينَهُمْ وبينَ الترابِ حاجزاً ، ويقولونَ : (منها خُلقْنا وإليها نردُّ) ، وكانوا يرونَ ذلكَ أرقَّ لقلوبِهِمْ وأجدرَ بتواضعِ نفوسِهِمْ(٢) ، فمَنْ لا تسمحُ بذلكَ نفسُهُ . . فليقتصدْ .

❀ ❀ ❀

السادسُ : ألاَّ ينامَ ما لمْ يغلبْهُ النومُ ، ولا يتكلَّفَ استجلابَهُ إلا إذا قصدَ بهِ الاستعانةَ على القيامِ في آخرِ الليلِ : فقدْ كانَ نومُهُمْ غلبةً ، وأكلُهُمْ فاقةً ، وكلامُهُمْ ضرورةً ، ولذلكَ وُصفوا بأنَّهُمْ كانوا قليلاً مِنَ الليلِ ما يهجعونَ .

وإنْ غلبَهُ النومُ عنِ الصلاةِ والذكرِ ، وصارَ لا يدري ما يقولُ . . فلينمْ

---

(١) كذا لفظه في « القوت » (١/ ٣٣) ، وقد روى الشهاب في « مسنده » (٤٢٥) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/ ٩٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٢٧٣) مرفوعاً : « من أصبح لا يهم بظلم أحد . . غفر له ما اجترم » .

(٢) قوت القلوب (١/ ٣٣) .

حتَّىٰ يعقلَ ما يقولُ ، كانَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما يكرهُ النومَ قاعداً[١] .

وفي الخبرِ : « لا تكابدوا الليلَ »[٢] .

وقيلَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ فلانةَ تصلِّي بالليلِ ، فإذا غلبَها النومُ . . تعلَّقَتْ بحبلٍ ، فنهىٰ عن ذلكَ وقالَ : « ليصلِّ أحدُكُمْ مِنَ الليلِ ما تيسَّرَ لهُ ، فإذا غلبَهُ النومُ . . فليرقُدْ »[٣] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تكلَّفوا مِنَ العملِ ما تطيقونَ ، فإنَّ اللهَ لا يملُّ حتَّىٰ تملُّوا »[٤] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خيرُ هـٰذا الدينِ أيسرُهُ »[٥] .

---

(١) قوت القلوب (١/ ٢١) .

(٢) رواه الخطيب في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (٢/ ٣٨٢) ، والديلمي كما في « مسند الفردوس » (٧٤٦٠) مرفوعاً : « لا تكابدوا هـٰذا الليل ؛ فإنكم لا تطيقونه ، وإذا نعس أحدكم . . فلينم علىٰ فراشه فإنه أسلم له » ، وعند ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٠٨) ، والطبراني في « الكبير » (٩/ ١٠٦) موقوفاً على ابن مسعود : (لا تغالبوا هـٰذا الليل . . .) الحديث .

(٣) كذا في « القوت » (١/ ٢١) ، ورواه البخاري (١١٥٠) ، ومسلم (٧٨٤) ، وهي أم المؤمنين زينب بنت جحش ، وفيهما : (فليقعد) بدل (فليرقد) أي : يتمُّها قاعداً ، وجاء لفظ : (فليرقد) عند البخاري (٢١٢) ، ومسلم (٧٨٦) مرفوعاً : « إذا نعس أحدكم وهو يصلي . . فليرقد حتىٰ يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلىٰ وهو ناعس لا يدري : لعله يستغفر فيسبُّ نفسه » .

(٤) رواه البخاري (٤٣ ، ٦٤٦٥) ، ومسلم (٧٨٢) .

(٥) رواه الطيالسي في « مسنده » (١٢٩٦) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ٤٧٩) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٤١) ولفظه : « خير دينكم أيسره » .

وقيلَ لهُ : إنَّ فلاناً يصلِّي فلا ينامُ ، ويصومُ فلا يفطرُ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لكنِّي أصلِّي وأنامُ ، وأصومُ وأُفطرُ ، هـٰذهِ سنَّتِي ، فمَنْ رغبَ عنها . . فليسَ منِّي »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تشادوا هـٰذا الدينَ ، فإنَّهُ متينٌ ، فمَنْ يشادُّهُ . . يغلبْهُ ، فلا تبغِّضْ إلىٰ نفسِكَ عبادةَ اللهِ »[2] .

❀ ❀ ❀

السابعُ : أنْ ينامَ مستقبلَ القبلةِ : والاستقبالُ علىٰ ضربين :

ـ **أحدُهما** : استقبالُ المحتضرِ ، وهوَ المستلقي علىٰ قفاهُ ، فاستقبالُهُ : أنْ يكونَ وجهُهُ وأخمصاهُ إلى القبلةِ .

ـ **والثاني** : استقبالُ اللحدِ ، وهوَ أنْ ينامَ علىٰ جنبٍ ، بأنْ يكونَ وجهُهُ إليها معَ قبالةِ بدنِهِ إذا نامَ على الشقِّ الأيمنِ .

❀ ❀ ❀

الثامنُ : الدعاءُ عندَ النومِ : فيقولُ : (باسمِكَ اللهمَّ ربِّي وضعتُ جنبِي ،

---

(١) رواه النسائي (٤/ ٢١٠) دون ذكر الجملة الأخيرة منه ، وهو مجملاً في حكاية الرهط الثلاثة الذين سألوا عن عبادته صلى الله عليه وسلم وكأنهم تقالُّوها عند البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) ، ولفظ المصنف في « القوت » (١/ ٢١) .

(٢) هو عند البخاري (٣٩) بنحوه ، ولفظه : « إن الدين يسر ، ولن يشادَّ الدينَ أحد إلا غلبه . . . » الحديث ، وروى ابن المبارك في « الزهد » (١١٧٨) : « إن هـٰذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ولا تبغِّض إلىٰ نفسك عبادة الله تعالىٰ ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقىٰ » ، ولفظ المصنف في « القوت » (١/ ٢١) .

وباسمِكَ أرفعُهُ) إلىٰ آخرِ الدعواتِ المأثورةِ التي أوردناها في كتابِ الدعواتِ .

ويُستحبُّ أنْ يقرأَ الآياتِ المخصوصةَ ؛ مثلَ آيةِ الكرسيِّ ، وآخرِ (البقرةِ) ، وغيرِهما .

ويقرأُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، يقالُ : إنَّ مَنْ قرأَها عندَ المنامِ . . حفِظَ اللهُ عليهِ القرآنَ فلمْ ينسَهُ[1] .

ويقرأُ مِنْ (سورةِ الأعرافِ) هٰذهِ الآيةَ : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ إلى قولِهِ : ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وآخرَ (بني إسرائيلَ) : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ الآيتينِ ؛ فإنَّهُ يدخلُ في شعارِهِ ملكٌ يوكلُ بحفظِهِ فيستغفرُ لهُ[2] .

ويقرأُ المعوِّذتينِ وينفثُ بهنَّ في يديهِ ويمسحُ بهما وجهَهُ وسائرَ جَسدِهِ ، كذلك رُوِيَ مِنْ فعلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[3] .

وليقرأْ عشراً مِنْ أوَّلِ الكهفِ ، وعشراً مِنْ آخرِها ، وهٰذهِ الآيُ للاستيقاظِ لقيامِ الليلِ[4] .

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٢) .
(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٤٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٠٥١) .
(٣) رواه البخاري (٥٠١٨) .
(٤) قوت القلوب (١/ ٣٢) .

وكانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (ما أرىٰ أنَّ رجلاً مستكمَلاً عقلُهُ ينامُ قبلَ أنْ يقرأَ الآيتينِ مِنْ آخرِ « سورةِ البقرةِ »)[1] .

وليقلْ خمساً وعشرينَ مرَّةً : (سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلـٰهَ إلا اللهُ ، واللهُ أكبرُ) ليكونَ مجموعُ هـٰذهِ الكلماتِ الأربعِ مئةَ مرَّةٍ .

❁ ❁ ❁

التاسعُ : أنْ يتذكَّرَ عندَ النومِ أنَّ النومَ نوعُ وفاةٍ ، والتيقُّظَ نوعُ بعثٍ :

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ ، وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ فسمَّاه توفِّياً ، وكما أنَّ المستيقظَ تنكشفُ لهُ مشاهداتٌ لا تناسبُ أحوالَهُ في النومِ . . فكذلكَ المبعوثُ يرىٰ ما لمْ يخطرْ قطُّ ببالِهِ ولا شاهدَهُ حسُّهُ ، ومثلُ النومِ بينَ الحياةِ والموتِ مثلُ البرزخِ بينَ الدنيا والآخرةِ[2] .

وقالَ لقمانُ لابنِهِ : (يا بنيَّ ؛ إنْ كنتَ تشكُّ في الموتِ . . فلا تنمْ ؛ فكما أنَّكَ تنامُ . . كذلكَ تموتُ ، وإنْ كنتَ تشكُّ في البعثِ . . فلا تنتبهْ ؛ فكما أنَّكَ تنتبهُ بعدَ نومِكَ . . فكذلكَ تبعثُ بعدَ موتِكَ)[3] .

وقالَ كعبُ الأحبارِ رحمَهُ اللهُ : (إذا نمتَ . . فاضطجعْ علىٰ شقِّكَ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٢) ، وقد سبق بيان فضلها وأخواتها مما ذكره المصنف هنا .
(٢) قوت القلوب (١/ ٣٤) .
(٣) قوت القلوب (١/ ٣٤) .

الأيمنِ ، واستقبلِ القبلةَ بوجهِكَ ؛ فإنَّهَا وفاةٌ)[1] .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ آخرُ ما يقولُ حينَ ينامُ وهوَ واضعٌ خدَّهُ علىٰ يدِهِ اليمنىٰ وهوَ يرىٰ أنَّهُ ميتٌ في ليلتِهِ تلكَ : « اللهمَّ ، ربَّ السماواتِ السبعِ وربَّ العرشِ العظيم ، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ . . . » الدعاءَ إلىٰ آخرِهِ كما ذكرناهُ في كتابِ الدعواتِ[2] .

فحقٌّ على العبدِ أنْ يفتِّشَ عنْ قلبِهِ عندَ نومِهِ أنَّهُ علىٰ ماذا ينامُ ؟ وما الغالبُ عليهِ : حبُّ اللهِ تعالىٰ وحبُّ لقائِهِ أوْ حبُّ الدنيا ؟ وليتحقَّقْ أنَّهُ يُتوفَّىٰ علىٰ ما هوَ الغالبُ عليهِ ، ويحشرُ علىٰ ما يُتوفَّىٰ عليهِ ؛ فإنَّ المرءَ معَ مَنْ أحبَّ ، ومعَ ما أحبَّ .

العاشرُ : الدعاءُ عندَ التنبُّهِ : فليقلْ في تيقظاتِهِ وتقلُّباتِهِ مهما تنبَّهَ ما كانَ يقولُهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا إلـهَ إلا اللهُ الواحدُ القهَّارُ ، ربُّ السماواتِ والأرضِ وما بينهُما العزيزُ الغفَّارُ »[3] .

وليجتهدْ أنْ يكونَ آخرُ ما يجري علىٰ قلبِهِ عندَ النومِ ذكرَ اللهِ تعالىٰ ،

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٤) .

(٢) الحديث رواه النسائي في « الكبرىٰ » (١٠٥٥٧) .

(٣) رواه النسائي في « الكبرىٰ » (١٠٦٣٤) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٧٥٧) .

وأوَّلُ ما يردُ علىٰ قلبِهِ عندَ التيقُّظِ ذكرَ اللهِ تعالىٰ ، فهوَ علامةُ الحبِّ ، ولا يلازمُ القلبَ في هاتينِ الحالتينِ إلا ما هوَ الغالبُ عليهِ ، فليجرِّبْ قلبَهُ بهِ ؛ فإنَّها علامةٌ تنكشفُ عنْ باطنِ القلبِ ، وإنما استُحبَّتْ هـٰذهِ الأذكارُ ليُستجرَّ القلبُ إلىٰ ذكرِ اللهِ تعالىٰ .

فإذا استيقظَ ليقومَ . . قالَ : (الحمدُ للهِ الذي أحيانا بعدَما أماتنا وإليهِ النشورُ) إلىٰ آخرِ ما أوردناهُ مِنْ أدعيةِ التيقُّظِ .

الوِردُ الرابعُ : يدخلُ بمضيِّ النصفِ الأوَّلِ مِنَ الليلِ إلىٰ أنْ يبقىٰ منَ الليلِ سدسُهُ :

وعندَ ذلكَ يقومُ العبدُ للتهجُّدِ ، فاسمُ التهجُّدِ يختصُّ بما بعدَ الهجودِ والهجوعِ وهوَ النومُ .

وهـٰذا وسْطُ الليلِ ، ويشبهُ الوِردَ الذي بعدَ الزوالِ ، وهوَ وسْطُ النهارِ ، وبهِ أقسمَ اللهُ تعالىٰ فقالَ : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ أي : إذا سكنَ[1] ، وسكونُهُ : هدوءُهُ في هـٰذا الوقتِ ، فلا تبقىٰ عينٌ إلاَّ نائمةٌ سوى الحيِّ القيُّومِ الذي لا تأخذُهُ سنةٌ ولا نومٌ ، وقيلَ : ﴿ إِذَا سَجَىٰ ﴾ إذا امتدَّ وطالَ ، وقيلَ : إذا أظلمَ[2] .

---

(١) روىٰ ذلك ابن جرير في « تفسيره » (١٥/ ٣٠/ ٢٨٩) عن قتادة والضحاك .

(٢) رواه ابن جرير في « تفسيره » (١٥/ ٣٠/ ٢٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والأقوال في « القوت » (١/ ٢١) .

وسئلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ الليلِ أسمعُ ؟ فقالَ : « جوفُ الليلِ »[١] .

وقالَ داوودُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إلـهي ؛ إنِّي أحبُّ أنْ أتعبَّدَ لكَ ، فأيُّ وقتٍ أفضلُ ؟ فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : يا داوودُ ؛ لا تقمْ أوَّلَ الليلِ ولا آخرَهُ ، فإنَّهُ منْ قامَ أوَّلَهُ . . نامَ آخرَهُ ، ومَنْ قامَ آخرَهُ . . لمْ يقمْ أوَّلَهُ ، ولكنْ قمْ وسْطَ الليلِ حتَّىٰ تخلوَ بي وأخلوَ بكَ ، وارفعْ إليَّ حوائجَكَ[٢] .

وسئلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ الليلِ أفضلُ ؟ فقالَ : « نصفُ الليلِ الغابرِ »[٣] ؛ يعني : الباقيَ .

وفي آخرِ الليلِ وردتِ الأخبارُ باهتزازِ العرشِ[٤] ، وانتشارِ الرياحِ مِنْ جنَّاتِ عدنٍ[٥] ، ومِنْ نزولِ الجبارِ تعالىٰ إلىٰ سماءِ الدنيا[٦] ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الأخبارِ .

---

(١) رواه أبو داوود (١٢٧٧) ، والترمذي (٣٤٩٩) .

(٢) قوت القلوب (١/ ٢١) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ١٧٩) ولفظه : « جوف الليل الغابر » ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٥٦٤) ولفظه : « نصف الليل أو جوف الليل » دون لفظ : (الغابر) ، **والغابر** : ضدٌّ ، يطلق على الماضي والباقي .

(٤) روى ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٩٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٠٣) عن سعيد الجريري : أن داوود قال : يا جبرائيل ؛ أي الليل أفضل ؟ قال : ما أدري ، غير أني أعلم أن العرش يهتز من السحر .

(٥) قوت القلوب (١/ ٢١) ، والسياق عنده .

(٦) رواه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) .

وترتيبُ هـٰذا الوِردِ :

أنَّهُ بعدَ الفراغِ مِنَ الأدعيةِ التي للاستيقاظِ يتوضَّأُ وضوءاً كما سبقَ بسننِهِ وآدابِهِ وأدعيتِهِ ، ثمَّ يتوجَّهُ إلىٰ مصلاَّهُ ، ويقومُ مستقبلاً القبلةَ ، ويقولُ : (اللهُ أكبرُ كبيراً ، والحمدُ للهِ كثيراً ، وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلاً) ، ثمَّ ليسبِّحْ عشراً ، وليحمدْ عشراً ، وليهللْ عشراً ، وليقلِ : (اللهُ أكبرُ ذو الملكوتِ والجبروتِ ، والكبرياءِ والعظمةِ ، والجلالِ والقدرةِ)[1] .

وليقلْ هـٰذهِ الكلماتِ ؛ فإنَّها مأثورةٌ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قيامِهِ للتهجُّدِ : اللهمَّ ؛ لكَ الحمدُ أنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ ، ولكَ الحمدُ أنتَ بهاءُ السَّماواتِ والأرضِ ، ولكَ الحمدُ أنتَ ربُّ السماواتِ والأرضِ ، ولكَ الحمدُ أنتَ قيُّومُ السماواتِ والأرضِ ومَنْ فيهنَّ ، ومَنْ عليهنَّ ، أنتَ الحقُّ ، ومنكَ الحقُّ ، ولقاؤُكَ حقٌّ ، والجنةُ حقٌّ ، والنارُ حقٌّ ، والنشورُ حقٌّ ، والنبيُّونَ حقٌّ ، ومحمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حقٌّ .

اللهمَّ ؛ لكَ أسلمتُ ، وبكَ آمنتُ ، وعليكَ توكلْتُ ، وإليكَ أنبتُ ، وبكَ خاصمْتُ ، وإليكَ حاكمْتُ ، فاغفرْ لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ وما أسرفتُ ، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ ، لا إلـٰهَ إلا أنتَ[2] .

---

(١) رواه الطيالسي في « مسنده » (٤١٦) مصرحاً بصلاة الليل ، وأبو داوود (٨٧٤) ، والنسائي (٢/ ٢٣١) .

(٢) إلىٰ هنا رواه البخاري (١١٢٠) ، ومسلم (٧٦٩) بألفاظ متقاربة .

اللهمَّ ؛ آتِ نفسي تقواها ، وزكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زكَّاها ، أنتَ وليُّها ومولاها[١] .

اللهمَّ ؛ اهدني لأحسنِ الأعمالِ لا يهدي لأحسنِها إلا أنتَ ، واصرفْ عنِّي سيِّئَها لا يصْرِفُ عنِّي سيِّئَها إلا أنتَ[٢] .

أسألُكَ مسألةَ البائسِ المسكينِ ، وأدعوكَ دعاءَ المفتقرِ الذليلِ ، فلا تجعلني بدعائِكَ ربِّ شقيّاً ، وكنْ بي رؤوفاً رحيماً ، يا خيرَ المسؤولينَ ، وأكرمَ المعطينَ[٣] .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا قامَ مِنَ الليلِ . . افتتحَ صلاتَهُ قالَ : « اللهمَّ ، ربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، فاطرَ السماواتِ والأرضِ ، عالمَ الغيبِ والشهادةِ ، أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلفونَ ؛ اهدني لما اختُلِفَ فيهِ مِنَ الحقِّ بإذنِكَ ، إنَّكَ تهدي مَنْ تشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ »[٤] .

ثمَّ يفتتحُ الصلاةَ ويصلِّي ركعتينِ خفيفتينِ ، ثمَّ يصلِّي مثنىٰ مثنىٰ ما تيسَّرَ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٠٩) في قيام الليل ، وهو عند مسلم (٢٧٢٢) من دعائه صلى الله عليه وسلم .

(٢) رواه النسائي (٢/ ١٢٩) بلفظ : (لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق) ، وهو عند مسلم (٧٧١) بلفظ : (الأخلاق) بدل (الأعمال) وفيه زيادة من أوله .

(٣) رواه الطبراني في « الصغير » (١/ ٢٤٧) .

(٤) رواه مسلم (٧٧٠) .

لهُ ، ويختمُ بالوترِ إنْ لمْ يكنْ قدْ صلَّى الوترَ ، ويستحبُّ أنْ يفصلَ بينَ الصلاتينِ عندَ تسليمِهِ بمئةِ تسبيحةٍ ؛ ليستريحَ ويزيدَ نشاطُهُ للصلاةِ .

وقدْ صحَّ في صلاةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالليلِ أنَّهُ صلَّىٰ أولاً ركعتينِ خفيفتينِ ، ثمَّ ركعتينِ طويلتينِ ، ثمَّ صلَّىٰ ركعتينِ دونَ اللتينِ قبلَهُما ، ثمَّ لمْ يزلْ يقصرُ بالتدريجِ إلىٰ ثلاثَ عشرةَ ركعةً[1] .

وسئلتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : أكانَ يجهرُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قيامِ الليلِ أمْ يسرُّ ؟ فقالَت : (ربما جهرَ ، وربما أسرَّ)[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « صلاةُ الليلِ مثنىٰ مثنىٰ ، فإذا خفتَ الصبحَ . . فأوترْ بركعةٍ »[3] .

وقالَ عليهِ السلامُ : « صلاةُ المغربِ أوترتْ صلاةَ النهارِ ، فأوترُوا صلاةَ الليلِ »[4] .

وأكثرُ ما صحَّ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قيامِ الليلِ ثلاثَ عشرةَ ركعةً[5] .

---

(١) رواه مسلم (٧٦٥) .
(٢) رواه أبو داوود (٢٢٦) ، والترمذي (٤٤٩) ، والنسائي (٣/ ٢٢٤) ، وابن ماجه (١٣٥٤) .
(٣) رواه البخاري (٤٧٢) ، ومسلم (٧٤٩) .
(٤) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٣/ ٢٨) ، وأحمد في « المسند » (٢/ ٣٠) .
(٥) رواه مسلم (٧٦٥) ، والنسائي (٣/ ٢٣٧) .

ويقرأُ في هـٰذهِ الركعاتِ مِنْ وردِهِ مِنَ القرآنِ أوْ مِنَ السورِ المخصوصةِ ما خفَّ عليهِ ، وهوَ في حكْمِ هـٰذا الوِردِ إلىٰ قريبٍ مِنَ السدسِ الأخيرِ مِنَ الليلِ .

❁ ❁ ❁

الوِردُ الخامسُ : السُّدُسُ الأخيرُ مِنَ الليلِ :

وهوَ وقتُ السحرِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قيلَ : يصلُّونَ ؛ لما فيها مِنَ الاستغفارِ[1] ، وهوَ مقاربٌ للفجرِ الذي هوَ وقتُ انصرافِ ملائكةِ الليلِ وإقبالِ ملائكةِ النهارِ .

وقدْ أمرَ بهـٰذا الوِردِ سلمانُ أخاه أبا الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُما ليلةَ زارَهُ في حديثٍ طويلٍ قالَ في آخرِهِ : فلمَّا كانَ الليلُ . . ذهبَ أبو الدرداءِ ليقومَ ، فقالَ لهُ سلمانُ : نمْ ، فنامَ ، ثمَّ ذهبَ ليقومَ ، فقالَ لهُ : نمْ ، فنامَ ، فلمَّا كانَ عندَ الصبحِ . . قالَ لهُ سلمانُ : قمِ الآنَ ، فقاما ، فصلَّيا ، فقالَ : إنَّ لنفسِكَ عليكَ حقّاً ، وإنَّ لضيفِكَ عليكَ حقّاً ، وإنَّ لأهلِكَ عليكَ حقّاً ، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ . وذلكَ أنَّ امرأةَ أبي الدرداءِ أخبرتْ سلمانَ أنَّهُ

---

(١) روىٰ ذلك الطبري في « تفسيره » (١٣/٢٦/٢٤٥) عن ابن عمر والضحاك ومجاهد ، قال أبو طالب المكي في « القوت » (١/٢١) : (وكذلك قوله عز وجل : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ يعني به الصلاة ، فكنىٰ بذلك القرآن والاستغفار عن الصلاة ؛ لأنهما وصفان منها . . . ، وكذلك يقال للصلاة استغفار ؛ لأنه يطلب بها المغفرة) .

لا ينامُ الليلَ ، قالَ : فأتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فذكرَ ذلكَ لهُ ، فقالَ : « صدقَ سلمانُ »[1] .

وهـٰذا هوَ الوِردُ الخامسُ ، وفيهِ يستحبُّ السحورُ ، وذلكَ عندَ خوفِ طلوعِ الفجرِ[2] .

والوظيفةُ في هـٰذينِ الوردينِ : الصلاةُ ، فإذا طلعَ الفجرُ . انقضتْ أورادُ الليلِ ودخلتْ أورادُ النهارِ ، فيقومُ ويصلِّي ركعتي الفجرِ ، وهوَ المرادُ بقولهِ تعالىٰ : ﴿فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ ، ثمَّ يقرأُ : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلىٰ آخرِها ، ثمَّ يقولُ : (وأنا أشهدُ بما شهدَ اللهُ بهِ لنفسهِ ، وشهدتْ بهِ ملائكتُهُ وأولو العلمِ مِنْ خلقِهِ ، وأستودعُ اللهَ هـٰذهِ الشهادةَ وهيَ لي عند اللهِ تعالىٰ وديعةٌ ، وأسألُهُ حفظَها حتَّىٰ يتوفاني عليها ، اللهمَّ ؛ احططْ بها عنِّي وزراً ، واجعلْ لي بها عندَكَ ذخراً ، واحفظْها عليَّ ، وتوفَّني عليها حتَّىٰ ألقاكَ بها غيرَ مبدِّلٍ تبديلاً)[3] .

فهـٰذا ترتيبُ الأورادِ للعُبَّادِ ، وقدْ كانوا يستحبونَ أنْ يجمعوا معَ ذلكَ في كلِّ يومٍ بينَ أربعةِ أمورٍ : صومٍ ، وصدقةٍ وإنْ قلَّتْ ، وعيادةِ مريضٍ ،

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٨) ، ولفظ المصنف في « القوت » (١/ ٢١) .
(٢) قوت القلوب (١/ ٢١) وقال : (فمن لم يتسحَّر في أوله . . بغته الفجر) .
(٣) قوت القلوب (١/ ٢٢) ، والدعاء الأخير منه رواه الترمذي (٥٧٩) ، وابن ماجه (١٠٥٣) .

وشهودِ جنازةٍ ؛ ففي الخبرِ : « مَنْ جمعَ بينَ هـٰذهِ الأربعِ في يومٍ . . غُفِرَ لهُ » ، وفي روايةٍ : « دخلَ الجنَّةَ »[1] ، فإنِ اتفقَ بعضُها وعجزَ عنِ الآخرِ . . كانَ لهُ أجرُ الجميعِ بحسَبِ نيَّتِهِ .

وكانوا يكرهونَ أنْ ينقضيَ اليومُ ولمْ يتصدَّقوا فيهِ بصدقةٍ ولوْ بتمرةٍ أوْ بَصَلَةٍ أوْ كسرةِ خبزٍ ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الرجلُ في ظلِّ صدقتِهِ حتَّىٰ يُقضىٰ بينَ الناسِ »[2] ، ولقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اتقوا النارَ ولوْ بشقِّ تمرةٍ »[3] .

ودفعتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها إلىٰ سائلٍ عنبةً واحدةً فأخذَها ، فنظرَ مَنْ كانَ عندَها بعضُ الحاضرينَ إلىٰ بعضٍ فقالتْ : (ما لكمْ ! إنَّ فيها لمثاقيلَ ذرٍّ كثيرٍ)[4] .

وكانوا لا يستحبُّونَ ردَّ السائلِ ؛ إذْ كانَ منْ أخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) رواه مسلم (١٠٢٨) ، ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا ، قال : « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا ، قال : « فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا ، قال : « فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعن في امرىءٍ إلا دخل الجنة » . ورواية : « غفر له » أوردها صاحب « القوت » (١/ ٤٢) .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣٣١٠) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٤١٦) .

(٣) رواه البخاري (١٤١٣) ، ومسلم (١٠١٦) .

(٤) قوت القلوب (١/ ٤٢) .

عليهِ وسلَّمَ ذلكَ ، ما سألَهُ أحدٌ شيئاً فقالَ : لا ، ولكنَّهُ إنْ لمْ يقدرْ عليهِ . . سكتَ[1] ، وفي الخبرِ : « يصبحُ ابنُ آدمَ وعلىٰ كلِّ سُلامىٰ مِنْ جسدِهِ صدقةٌ - يعني : كلَّ مفصلٍ ، وفي جسدِهِ ثلاثُ مئةٍ وستونَ مفصلاً - فأمرُكَ بالمعروفِ صدقةٌ ، ونهيُكَ عَنِ المنكرِ صدقةٌ ، وحملُكَ عنِ الضعيفِ صدقةٌ ، وهدايتُكَ إلى الطريقِ صدقةٌ ، وإماطتُكَ الأذىٰ صدقةٌ » ، حتَّىٰ ذكرَ التسبيحَ والتهليلَ ثمَّ قالَ : « وركعتا الضحىٰ تأتي علىٰ ذلكَ كلِّهِ ، أوْ تجمعُ ذلكَ كلَّهُ »[2] .

❋ ❋ ❋

(١) رواه مسلم (٢٣١١) ، والبزار (٦٤٣٩) .
(٢) رواه البخاري (٢٩٨٩) ، ومسلم (٧٢٠) واللفظ له .

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلمْ : أنَّ المريدَ لحرثِ الآخرةِ السالكَ لطريقِها لا يخلو عَنْ ستَّةِ أحوالٍ ؛ فإنَّهُ إما عابدٌ ، وإمَّا عالمٌ ، وإمَّا متعلِّمٌ ، وإمَّا والٍ ، وإمَّا محترفٌ ، وإمَّا موحِّدٌ مستغرقٌ بالواحدِ الصمدِ عَنْ غيرِهِ .

الأوَّلُ : العابدُ :

وهوَ المتجرِّدُ لعبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، الذي لا شغلَ لهُ غيرُها أصلاً ، ولوْ تركَ العبادةَ . . لجلسَ بطَّالاً ، **فترتيبُ أورادِهِ** ما ذكرناهُ .

نعمْ ، لا يبعدُ أنْ تختلفَ وظائفُهُ ؛ بأنْ يستغرقَ أكثرَ أوقاتِهِ إمَّا في الصلاةِ ، أوْ في القراءةِ ، أوْ في التسبيحاتِ ، فقدْ كانَ في الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمْ مَنْ وِردُهُ في اليومِ اثنا عشرَ ألفَ تسبيحةٍ[1] ، وكانَ فيهِمْ مَنْ وِردُهُ ثلاثونَ ألفاً ، وكانَ فيهِمْ مَنْ وِردُهُ ثلاثُ مئةِ ركعةٍ إلىٰ ستِّ مئةٍ ، وإلىٰ ألفِ ركعةٍ ، وأقلُّ ما نُقِلَ في أورادِهِمْ مِنَ الصلاةِ مئةُ ركعةٍ في اليومِ والليلةِ[2] .

وكانَ بعضُهُم أكثرُ وردِهِ القرآنُ ، فكانَ يختمُ الواحدُ منهُمْ فِي اليومِ مرَّةً ،

---

(١) كأبي هريرة رضي الله عنه ، روىٰ ذلك عنه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٢٦٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/ ٣٦٣) .

(٢) قوت القلوب (١/ ٤٠ـ٤١) .

ورُوِيَ : مرتينِ عَنْ بعضِهِمْ ، وكانَ بعضُهُمْ يقضي اليومَ أوِ الليلةَ في التفكُّرِ في آيةٍ واحدةٍ يرددُها .

وكانَ كُرْزُ بنُ وبرةَ مقيماً بمكَّةَ ، فكانَ يطوفُ في كلِّ يومٍ سبعينَ أسبوعاً ، وفي كلِّ ليلةٍ سبعينَ أسبوعاً ، وكانَ معَ ذلكَ يختمُ القرآنَ في اليومِ والليلةِ مرَّتينِ ، فحُسِبَ ذلكَ فكانَ عشرةَ فراسخَ ، ويكونُ معَ كلِّ أسبوعٍ ركعتانِ ، فهوَ مئتانِ وثمانونَ ركعةً ، وختمتانِ ، وعشرةُ فراسخَ[1] .

❀ ❀ ❀

فإنْ قلتَ : فما الأولىٰ أنْ يصرفَ إليهِ أكثرَ الأوقاتِ مِنْ هٰذهِ الأورادِ ؟

فاعلمْ : أنَّ قراءةَ القرآنِ في الصلاةِ قائماً معَ التدبُّرِ يجمعُ الجميعَ ، ولكنْ ربما تعسرُ المواظبةُ عليهِ ، فالأفضلُ يختلفُ باختلافِ حالِ الشخصِ ، ومقصودُ الأورادِ تزكيةُ القلبِ وتطهيرُهُ ، وتحليتُهُ بذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وإيناسُهُ

---

(١) كذا في «القوت» (١/ ٤١)، وروىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨١) عن ابن شُبرمة يقول :

لو شئتُ كنت ككرز في تعبُّدِهِ ... أو كابنِ طارق حول البيتِ في الحرمِ

قد حال دون لذيذِ العيشِ خوفهما ... وسارعا في طِلاب الفوز والكرمِ

وكان محمد بن طارق يطوف في كل يوم وليلة سبعين أسبوعاً ، وكان كرز يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث ختمات .

بهِ ، فلينظرِ المريدُ إلىٰ قلبهِ ، فما يراهُ أشدَّ تأثيراً فيهِ . . فليواظبْ عليهِ ، فإذا أحسَّ بملالةٍ منهُ . . فلينتقلْ إلىٰ غيرِهِ .

ولذلكَ نرى الأصوبَ لأكثرِ الخلقِ توزيعَ هـٰذهِ الخيراتِ المختلفةِ على الأوقاتِ كما سبقَ ، والانتقالَ فيها مِنْ نوعٍ إلىٰ نوعٍ ؛ لأنَّ المَلالَ هوَ الغالبُ على الطبعِ ، وأحوالُ الشخصِ الواحدِ أيضاً في ذلكَ تختلفُ ، ولكنْ إذا فهمَ فقهَ الأورادِ وسرَّها . . فليتبعِ المعنىٰ ، فإنْ سمعَ تسبيحةً مثلاً وأحسَّ لها بوقعٍ في قلبهِ . . فليواظبْ علىٰ تكرارِها ما دامَ يجدُ لها وقعاً .

وقد رُوي عنْ إبراهيمَ بنِ أدهمَ رحمهُ اللهُ عنْ بعضِ الأبدالِ : أنَّهُ قامَ ذاتَ ليلةٍ يصلِّي علىٰ شاطىءِ البحرِ ، فسمعَ صوتاً عالياً بالتسبيحِ ولمْ يرَ أحداً ، فقالَ : مَنْ أنتَ أسمعُ صوتَكَ ولا أرىٰ شخصَكَ ؟ فقالَ : أنا مَلَكٌ مِنَ الملائكةِ موكَّلٌ بهـٰذا البحرِ ، أسبِّحُ اللهَ تعالىٰ بهـٰذا التسبيحِ منذُ خُلقتُ ، قلتُ : فما اسمُكَ ؟ قالَ : مهلهيائيل ، قلتُ : فما ثوابُ مَنْ قالَهُ ؟ قالَ : مَنْ قالَهُ مئةَ مرَّةٍ . . لمْ يمتْ حتَّىٰ يرىٰ مقعدَهُ مِنَ الجنَّةِ أوْ يُرىٰ لهُ[1] .

والتسبيحُ : هوَ قولُهُ : (سبحانَ اللهِ العليِّ الديَّانِ ، سبحانَ اللهِ الشديدِ الأركانِ ، سبحانَ مَنْ يذهبُ بالليلِ ويأتي بالنهارِ ، سبحانَ مَنْ لا يشغلُهُ شانٌ عَنْ شانٍ ، سبحانَ اللهِ الحنَّانِ المنَّانِ ، سبحانَ اللهِ المسبَّحِ في كلِّ مكانٍ) .

---

(١) قوت القلوب (١/ ٤٠) .

فهـٰذا وأمثالُهُ إذا سمعَهُ المريدُ ووجدَ لهُ في قلبِهِ وقْعاً . . فيلازمُهُ ، وأيّاً ما وجدَ القلبَ عندَهُ وفُتحَ لهُ فيهِ خيرٌ . . فليواظبْ عليهِ .

الثاني : العالمُ الذي ينفعُ الناسَ بعلمِهِ في فتوىٰ ، أوْ تدريسٍ ، أوْ تصنيفٍ :

فترتيبُهُ الأورادَ يخالفُ ترتيبَ العابدِ ؛ فإنَّهُ يحتاجُ إلى المطالعةِ للكتبِ ، وإلى التصنيفِ والإفادةِ ، ويحتاجُ إلىٰ مدَّةٍ لها لا محالةَ ، فإنْ أمكنَهُ استغراقُ الأوقاتِ فيهِ . . فهو أفضلُ ما يشتغلُ بهِ بعدَ المكتوباتِ ورواتبِها .

ويدلُّ علىٰ ذلكَ جميعُ ما ذكرناهُ في فضيلةِ التعليمِ والتعلُّمِ في كتابِ العلمِ ، وكيفَ لا يكونُ كذلكَ وفي العلمِ المواظبةُ علىٰ ذكرِ اللهِ تعالىٰ وتأمُّلِ ما قالَ اللهُ سبحانَهُ وقالَ رسولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وفيهِ منفعةُ الخلقِ وهدايتُهُمْ إلىٰ طريقِ الآخرةِ ؟! وربَّ مسألةٍ واحدةٍ يتعلَّمُها المتعلِّمُ فيصلحُ بها عبادةَ عمرِهِ ، ولوْ لمْ يتعلَّمْها . . لكانَ سعيُهُ ضائعاً .

وإنَّما نعني بالعلمِ المقدَّمِ على العبادةِ : العلمَ الذي يرغِّبُ الناسَ في الآخرةِ ويزهِّدُهم في الدنيا ، أوِ العلمَ الذي يعينُهُمْ علىٰ سلوكِ طريقِ الآخرةِ إذا تعلَّمُوهُ علىٰ قصدِ الاستعانةِ بهِ على السلوكِ ، دونَ العلومِ التي تزيدُ بها الرغبةُ في المالِ والجاهِ وقبولِ الخلقِ .

والأولىٰ بالعالمِ أنْ يقسمَ أوقاتَهُ أيضاً ؛ فإنَّ استغراقَ الأوقاتِ في ترتيبِ

العلمِ لا يحتملُهُ الطبعُ ، فينبغي أن يخصِّصَ ما بعدَ الصبحِ إلىٰ طلوعِ الشمسِ بالأذكارِ والأورادِ ، كما ذكرناه في الوِردِ الأوَّلِ .

وبعدَ الطلوعِ إلى ضحوةِ النهارِ في الإفادةِ والتعليمِ إنْ كانَ عندَهُ مَنْ يستفيدُ علماً لأجلِ الآخرةِ ، وإنْ لمْ يكنْ . . فيصرفُهُ إلى الفِكْرِ ، ويتفكَّرُ فيما يشكلُ عليهِ مِنْ علومِ الدينِ ، فإنَّ صفاءَ القلبِ بعدَ الفراغِ مِنَ الذكرِ وقبلَ الاشتغالِ بهمومِ الدنيا يعينُ على التفطُّنِ للمشكلاتِ .

ومِنْ ضحوةِ النهارِ إلى العصرِ للتصنيفِ والمطالعةِ ، لا يتركُهما إلا في وقتِ أكلٍ وطهارةٍ ومكتوبةٍ وقيلولةٍ خفيفةٍ إنْ طالَ النهارُ .

ومِنَ العصرِ إلى الاصفرارِ يشتغلُ بسماعِ ما يُقرأُ بينَ يديهِ ؛ مِنْ تفسيرٍ أوْ حديثٍ أوْ علمٍ نافعٍ .

ومِنَ الاصفرارِ إلى الغروبِ يشتغلُ بالذكرِ والاستغفارِ والتسبيحِ .

فيكونُ وِردُهُ الأوَّلُ قبلَ طلوعِ الشمسِ في عملِ اللسانِ ، ووِردُهُ الثاني في عملِ القلبِ بالفكرِ إلى الضحوةِ ، ووِردُهُ الثالثُ إلى العصرِ في عملِ العينِ واليدِ بالمطالعةِ والكتابةِ ، ووِردُهُ الرابعُ بعدَ العصرِ في عملِ السمعِ ؛ ليروِّحَ فيهِ العينَ واليدَ ، فإنَّ المطالعةَ والكتابةَ بعدَ العصرِ ربما أضرَّا بالعينِ ، وعندَ الاصفرارِ يعودُ إلىٰ ذكرِ اللسانِ ، فلا يخلو جزءٌ مِنَ النهارِ عنْ عملٍ لهُ بالجوارحِ معَ حضورِ القلبِ في الجميعِ .

وأمَّا الليلُ . . فأحسنُ قسمةٍ فيهِ قسمةُ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ إذْ كانَ

يقسمُ الليلَ ثلاثةَ أجزاءٍ : ثلثٌ للمطالعةِ وترتيبِ العلمِ وهوَ الأوَّلُ ، وثلثٌ للصلاةِ وهوَ الوسطُ ، وثلثٌ للنومِ وهوَ الأخيرُ ، وهـٰذا يتيسَّرُ في ليالي الشتاءِ ، وأمَّا الصيفُ . . ربما لا يحتملُ ذلكَ إلا إذا كانَ أكثرَ النومَ بالنهارِ ، فهـٰذا ما نستحبُّهُ مِنْ ترتيبِ أورادِ العالمِ[1] .

❀ ❀ ❀

الثالثُ : المتعلِّمُ :

والاشتغالُ بالتعلُّمِ أفضلُ مِنَ الاشتغالِ بالأذكارِ والنوافلِ[2] ، فحكمُهُ حكمُ العالمِ في ترتيبِ الأورادِ ، ولكنْ يشتغلُ بالاستفادةِ حيثُ يشتغلُ العالمُ بالإفادةِ ، وبالتعليقِ والنسخِ حيثُ يشتغلُ العالمُ بالتصنيفِ .

ويرتِّبُ أوقاتَهُ كما ذكرناهُ .

وكلُّ ما ذكرناهُ في فضيلةِ التعلُّمِ والعلمِ مِنْ كتابِ العلمِ يدلُّ علىٰ أنَّ ذلكَ أفضلُ ، بلْ إنْ لمْ يكنْ متعلِّماً علىٰ معنىٰ أنَّهُ يعلِّقُ ويحصِّلُ ليصيرَ عالماً بلْ

---

(١) ومن اختار هـٰذا الترتيب في النهار والليل من العلماء . . بورك له في علمه وتصنيفه ، وذكر بعض العلماء في ترجمة المصنِّف قدِّس سرُّه أنه صنَّف هـٰذا الكتاب في مئة يوم ، ومع ذلك كان يختم القرآن في اليوم والليلة مرة ، فهـٰذا وأمثاله مما وقع لغيره من المصنفين من بركة الوقت وحسن إخلاصهم رحمهم الله تعالىٰ ونفعنا بهم آمين . « إتحاف » (٥/ ١٧٣) .

(٢) بل الاشتغال بالعلم اشتغال بالذكر ؛ إذ العلم الذي يشتغل به يذكر فيه الله ورسوله ، فهو في ذكر . « إتحاف » (٥/ ١٧٣) .

كانَ مِنَ العوامِّ . . فحضورُهُ مجالسَ الذكرِ والوعظِ والعلمِ أفضلُ مِن اشتغالِهِ بالأورادِ التي ذكرناها بعدَ الصبحِ وبعدَ الطلوعِ وفي سائرِ الأوقاتِ ، ففي حديثِ أبي ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّ حضورَ مجلسِ ذكرٍ أفضلُ مِنْ صلاةِ ألفِ ركعةٍ ، وشهودِ ألفِ جنازةٍ ، وعيادةِ ألفِ مريضٍ)[1] .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا رأيتُمْ رياضَ الجنَّةِ . . فارتعوا فيها » فقيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ وما رياضُ الجنَّةِ ؟ قالَ : « حِلقُ الذكْرِ »[2] .

وقالَ كعبُ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لوْ أنَّ ثوابَ مجالسِ العلماءِ بدا للناسِ . . لاقتتلوا عليهِ حتَّىٰ يتركَ كلُّ ذي إمارةٍ إمارتهُ ، وكلُّ ذي سوقٍ سوقَهُ)[3] .

وقالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّ الرجلَ ليخرجُ مِنْ منزلِهِ وعليهِ مِنَ الذنوبِ مثلُ جبالِ تهامةَ ، فإذا سمعَ العالمَ . . خافَ واسترجعَ عنْ ذنوبِهِ ، وانصرفَ إلىٰ منزلِهِ وليسَ عليهِ ذنبٌ ، فلا تفارقوا مجالسَ العلماءِ ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لمْ يخلقْ علىٰ وجهِ الأرضِ تربةً أكرمَ مِنْ مجالسِ العلماءِ) .

وقالَ رجلٌ للحسنِ رحمهُ اللهُ : أشكو إليكَ قساوةَ قلبي ، فقالَ : أدْنِهِ مِنْ مجالسِ الذكرِ[4] .

---

(١) قوت القلوب (١/ ٦٧) ، وانظر « الإتحاف » (١/ ٩٩) .
(٢) رواه الترمذي (٣٥١٠) .
(٣) نسبه الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٥/ ١٧٤) لأبي نعيم في « الحلية » .
(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٩١) .

ورأىٰ عمارٌ الراهبُ مسكينةَ الطفاويةَ في المنامِ وكانتْ مِنَ المواظباتِ علىٰ حِلَقِ الذكرِ ، فقالَ : مرحباً يا مسكينةُ ، فقالتْ : هيهاتَ هيهاتَ ، ذهبتِ المسكنةُ وجاءَ الغنىٰ ، فقالَ : هيهِ ، فقالتْ : ما تسألُ عمَّنْ أبيحَ لها الجنةُ بحذافيرِها ، قالَ : وبمَ ذلكَ ؟ قالتْ : بمجالسةِ أهلِ الذكرِ[1] .

وعلى الجملةِ : فما ينحلُّ عنِ القلبِ مِنْ عقدةٍ مِنْ عُقدِ حبِّ الدنيا بقولِ واعظٍ حسنِ الكلامِ زكيِّ السيرةِ . . أشرفُ وأنفعُ مِنْ ركعاتٍ كثيرةٍ معَ اشتمالِ القلبِ علىٰ حبِّ الدنيا .

الرابعُ : المحترفُ الذي يحتاجُ إلى الكسبِ لعيالِهِ :

فليسَ لهُ أنْ يضيعَ العيالَ ويستغرقَ الأوقاتَ في العباداتِ، بلْ وِردُهُ في وقتِ الصناعةِ حضورُ السوقِ ، والاشتغالُ بالكسبِ ، ولكنْ ينبغي ألاَّ ينسىٰ ذكرَ اللهِ تعالىٰ في صناعتِهِ ، بلْ يواظبُ على التسبيحاتِ والأذكارِ وقراءةِ القرآنِ ، فإنَّ ذلكَ يمكنُ أنْ يُجمَعَ إلى العملِ ، وإنَّما الذي لا يتيسَّرُ معَ العملِ الصلاةُ ، إلا أنْ يكونَ ناظوراً[2] ، فإنَّهُ لا يعجَزُ عنْ إقامةِ أورادِ الصلاةِ معهُ .

---

(١) رواها ابن أبي الدنيا في « المنامات » (١٤٧) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٥٩٥) .

(٢) **الناظور** : هو الناطور ، حافظ البستان ونحوه .

ثمَّ مهما فرغَ مِنْ كفايتِهِ . . ينبغي أنْ يعودَ إلىٰ ترتيبِ الأورادِ ، وإنْ داومَ على الكسبِ وتصدَّقَ بما فضلَ عنْ حاجتِهِ . . فهوَ أفضلُ مِنْ سائرِ الأورادِ التي ذكرناها ؛ لأنَّ العبادةَ المتعديةَ فائدتُها أنفعُ مِنَ اللازمةِ ، والصدقةُ والكسبُ علىٰ هـٰذهِ النيَّةِ عبادةٌ لهُ في نفسِهِ تقرِّبُهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، ثمَّ يحصلُ بهِ فائدةٌ للغيرِ ، وتنجذبُ إليهِ بركاتُ دعواتِ المسلمينَ ، فيتضاعفُ بهِ الأجرُ .

❁ ❁ ❁

الخامسُ : الوالي :

مثلُ الإمامِ والقاضي والمتولِّي لينظرَ في أمورِ المسلمينَ ، فقيامُهُ بحاجاتِ المسلمينَ وأغراضِهِمْ علىٰ وَفْقِ الشرعِ وقصْدِ الإخلاصِ أفضلُ مِنَ الأورادِ المذكورةِ ، فحقُّهُ أنْ يشتغلَ بحقوقِ الناسِ نهاراً ، ويقتصرَ على المكتوبةِ ، ويقيمَ الأورادَ المذكورةَ بالليلِ ؛ كما كانَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ يفعلُهُ ؛ إذْ قالَ : (ما لي وللنومِ ، لوْ نمتُ بالنهارِ . . ضيَّعْتُ المسلمينَ ، ولوْ نمتُ بالليلِ . . ضيعتُ نفسي)[1] .

وقدْ فهمتَ ممَّا ذكرناهُ أنَّهُ يقدَّمُ على العباداتِ البدنيةِ أمرانِ : **أحدُهما** :

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٦٠٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٢٧٣) ، وكان ذلك جواباً لعمرو بن العاص حين كتب له فسأله : بلغني يا أمير المؤمنين أنك لا تنام بالليل ولا بالنهار إلا مغلباً .

العلمُ ، والآخرُ : الرفقُ بالمسلمينَ ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ العلمِ وفعلِ المعروفِ عملٌ في نفسِهِ ، وعبادةٌ تفضلُ سائرَ العباداتِ بتعدي فائدتِهِ وانتشارِ جدواهُ ، فكانا مقدَّمينِ عليهِ .

السادسُ : الموحِّدُ المستغرقُ بالواحدِ الصمدِ :

الذي أصبحَ وهمومُهُ همٌّ واحدٌ[1] ، فلا يحبُّ إلا اللهَ عزَّ وجلَّ ، ولا يخافُ إلا منهُ ، ولا يتوقَّعُ الرزقَ منْ غيرِهِ ، ولا ينظرُ في شيءٍ إلا ويرى اللهَ عزَّ وجلَّ فيهِ .

فمَنِ ارتفعتْ رتبتُهُ إلىٰ هـٰذهِ الدرجةِ . . لمْ يفتقرْ إلىٰ تنويعِ الأورادِ واختلافِها ، بلْ كانَ وردُهُ بعدَ المكتوباتِ وِرداً واحداً ، وهوَ حضورُ القلبِ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ في كلِّ حالٍ ، فلا يخطرُ بقلوبِهِمْ أمرٌ ، ولا يقرعُ سمعَهُمْ قارعٌ ، ولا يلوحُ لأبصارِهِمْ لائحٌ . . إلا كانَ لهُمْ فيهِ عِبرةٌ وفكرٌ ومزيدٌ ، فلا محرِّكَ لهُمْ ولا مسكِّنَ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ .

---

(١) روى الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤٤٣) مرفوعاً : « من جعل الهموم همّاً واحداً . . كفاه الله همَّ دنياه ، ومن تشعبت به الهموم . . لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك » .
وروى ابن المبارك في « الزهد » (٨٥٨) عن الحسن قال : قال عامر بن عبد قيس لقوم ذكروا الدنيا : وإنكم لتهتمون ؟ ! والله لئن استطعت . . لأجعلنهما همّاً واحداً ، قال الحسن : ففعل والله ذلك حتىٰ لحق بالله .

فهؤلاءِ جميعُ أحوالِهِمْ تصلحُ أنْ تكونَ سبباً لازديادِهِمْ ، فلا تتميَّزُ عندَهُمْ عبادةٌ عنْ عبادةٍ ، وهُمُ الذينَ فرُّوا إلى اللهِ عزَّ وجلَّ كما قالَ تعالىٰ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، وتحقَّقَ فيهِمْ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾[1] ، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[2] .

وهـٰذهِ منتهىٰ درجاتِ الصدِّيقينَ ، ولا وصولَ إليها إلا بعدَ ترتيبِ الأورادِ والمواظبةِ عليها دهراً طويلاً ، فلا ينبغي أنْ يغترَّ المريدُ بما يسمعُهُ مِنْ ذلكَ فيدعيَهُ لنفسِهِ ، ويفترَ عنْ وظائفِ عباداتِهِ ، فذلكَ علامتُهُ ألاَّ يهجسَ في قلبِهِ وسواسٌ ، ولا يخطرَ في قلبِهِ معصيةٌ ، ولا تزعجَهُ هواجمُ الأهوالِ ، ولا تستفزَّهُ عظائمُ الأشغالِ ، وأنَّىٰ تُرزقُ هـٰذهِ الرتبةُ لكلِّ أحدٍ ؟!

فيتعيَّنُ على الكافَّةِ ترتيبُ الأورادِ كما ذكرناهُ ، وجميعُ ما ذكرناهُ طرقٌ إلى اللهِ تعالىٰ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ ، فكلُّهُمْ مهتدونَ وبعضُهُمْ أهدىٰ منْ بعضٍ .

وفي الخبرِ : « الإيمانُ ثلاثٌ وثلاثونَ وثلاثُ مئةِ طريقةٍ ، مَنْ لقيَ اللهَ

---

(١) والإشارة في قوله : ﴿ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ ، فهـٰؤلاء نفوا عن قلوبهم عبادة غيره تعالىٰ ، فلم يحلَّ فيها خاطر للسوىٰ قط . « إتحاف » (٥/ ١٧٦) .

(٢) فالذهاب إلى الله هو الغنىٰ في الله ، بحيث لا يبقىٰ له خبر عما سوى الله . « إتحاف » (٥/ ١٧٦) .

تعالىٰ بالشَّهَادةِ علىٰ طريقةٍ منها . . دخلَ الجنَّةَ »[1] .

وقالَ بعضُ العلماءِ : الإيمانُ ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ خلقاً بعددِ الرسلِ ، كلُّ مؤمنٍ علىٰ خلقٍ منها ، فهوَ سالكٌ للطريقِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فإذاً الناسُ وإنِ اختلفتْ طرقُهُمْ في العبادةِ . . فكلُّهُمْ على الصوابِ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ ، وإنَّما يتفاوتونَ في درجاتِ القرْبِ لا في أصلِهِ ، وأقربُهُمْ إلى اللهِ تعالىٰ أعرفُهُمْ بهِ ، وأعرفُهُمْ بهِ لا بدَّ وأنْ يكونَ أعبدَهُمْ لهُ ، فمَنْ عرفَهُ . . لمْ يعبدْ غيرَهُ .

❁ ❁ ❁

والأصلُ في الأورادِ في حقِّ كلِّ صنفٍ مِنَ الناسِ المداومةُ : فإنَّ المرادَ منهُ تغييرُ صفاتِ الباطنِ ، وآحادُ الأعمالِ يقلُّ آثارُها ، بلْ لا يُحَسُّ بآثارِها ، وإنَّما يترتَّبُ الأثرُ على المجموعِ ، فإذا لمْ يعقبِ العملُ الواحدُ أثراً محسوساً ، ولمْ يُردَفْ بثانٍ وثالثٍ على القربِ . . امَّحىٰ أثرُ الأوَّلِ ، وذلكَ كالفقيهِ الذي يريدُ أنْ يكونَ فقيهَ النفسِ ، فإنَّهُ لا يكونُ فقيهَ النفسِ إلا بتكرارٍ كثيرٍ ، فلوْ بالغَ ليلةً في التكرارِ وتركَ شهراً أوْ أسبوعاً ثمَّ عادَ وبالغَ ليلةً . . لمْ

---

(١) كذا لفظه في « القوت » (١/ ٨٣) ، وقد رواه الطبراني في « الأوسط » (٧٣٠٦) ، واللالكائي في « اعتقاد أهل السنة » (٥/ ٩٧٩) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٤/ ١٩٠٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٨١٩٠) بلفظ : « الإيمان ثلاث مئة وثلاث وثلاثون شريعة ، من وافى الله منها بشريعة . . دخل الجنة » .

يؤثِّرْ هـٰذا فيهِ ، ولوْ وزَّعَ ذلكَ القدْرَ على الليالي المتواصلةِ . . لأثَّرَ فيهِ ، ولهـٰذا السرِّ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالىٰ أدومُها وإنْ قلَّ »[١] .

وسُئلتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عَنْ عملِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالتْ : (كانَ عملُهُ ديمةً ، وكانَ إذا عملَ عملاً . . أثبتَهُ)[٢] .

ولذلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عوَّدَهُ اللهُ تعالىٰ عبادةً فتركَها مَلالةً . . مقتَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ »[٣] .

وهـٰذا هوَ السببُ في صلاتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَ العصرِ تداركاً لما فاتَهُ مِنْ ركعتينِ شغلَهُ عنهُما الوفدُ ، ثمَّ لمْ يزلْ بعدَ ذلك يصلِّيهما بعدَ العصرِ ، ولكنْ في منزلِهِ لا في المسجدِ ؛ كي لا يُقتدىٰ بهِ ، روتْ ذلكَ عائشةُ وأمُّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنهُما[٤] .

❁ ❁ ❁

فإنْ قلتَ : فهلْ لغيرِهِ أنْ يقتديَ بهِ في ذلكَ معَ أنَّ الوقتَ وقتُ كراهيةٍ ؟

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٤) ، ومسلم (٧٨٣) .
(٢) رواه البخاري (١٩٨٧) ، ومسلم (٧٤٦ ، ٧٨٣) .
(٣) قوت القلوب (١/ ٨٤) .
(٤) رواه البخاري (٥٩٠ ، ١٢٣٣) ، ومسلم (٨٣٤ ، ٨٣٥) ، وهاتان الركعتان كانتا بعد الظهر كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها ، وقد سبق الحديث عن ذلك .

فاعلمْ : أنَّ المعانيَ الثلاثةَ التي ذكرناها في الكراهيةِ ؛ مِنَ الاحترازِ عنِ التشبُّهِ بعبدةِ الشمسِ ، أوِ السجودِ وقتَ ظهورِ قرْنِ الشيطانِ ، أوِ الاستراحةِ عنِ العبادةِ حذراً مِنَ الملالِ . . لا يتحقَّقُ في حقِّهِ ، فلا يقاسُ عليهِ عليهِ السلامُ في ذلكَ غيرُهُ ، ويشهدُ لذلكَ فعلُهُ في المنزلِ حتَّىٰ لا يُقتدىٰ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

البَابُ الثَّاني

في الأسباب الميسّرة لقيام اللّيل، وفي اللّيالي الّتي يُستحبّ إحياؤها وفي فضيلة إحياء اللّيل وما بين العشاءين، وكيفيّة قسمة اللّيل

فضيلة إحياء ما بين العشاءين

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : « إنَّ أفضلَ الصلواتِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ صلاةُ المغربِ ، لمْ يحطَّها عنْ مسافرٍ ولا عنْ مقيمٍ ، فتحَ بها صلاةَ الليلِ ، وختمَ بها صلاةَ النهارِ ، فمَنْ صلَّى المغربَ وصلَّىٰ بعدَها ركعتينِ . . بنى اللهُ عزَّ وجلَّ لهُ قصرينِ في الجنَّةِ ـ قالَ الراوي : لا أدري مِنْ ذهبٍ أوْ فضَّةٍ ـ ومَنْ صلَّىٰ بعدَها أربعَ ركعاتٍ . . غفرَ اللهُ لهُ ذنبَ عشرينَ سنةً ، أوْ قالَ : أربعينَ سنةً »[1] .

وروتْ أمُّ سلمةَ عنْ أبي هريرة رَضيَ اللهُ عنهُمَا[2] ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ

---

(١) كذا الحديث في « القوت » (١/ ٢٩) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ، وقد رواه مختصراً الطبراني في « الأوسط » (٦٤٤٥) ، ورواه ابن شاهين في « الترغيب » وقد ساق سنده الحافظ الزيلعي في « تخريج الأحاديث والآثار » (٣/ ٣٦٠) ، وقال الحافظ العراقي : (رواه أبو الوليد يونس بن عبد الله الصفار في « كتاب الصلاة ») . « إتحاف » (٥/ ١٧٩) .

(٢) الذي في « القوت » (١/ ٣٠) : (أبو سلمة عن أبي هريرة) وأبو سلمة : هو =

عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَن صلَّىٰ ستَّ ركعاتٍ بعدَ المغربِ . . عدلَتْ لهُ عبادةَ سنةٍ كاملةٍ ، أوْ كأنَّهُ صلَّىٰ ليلةَ القدرِ »[1] .

وعنْ سعيدِ بن جبيرٍ ، عنْ ثوبانَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ عكفَ نفسَهُ ما بينَ المغربِ والعشاءِ في مسجدِ جماعةٍ لمْ يتكلَّمْ إلاَّ بصلاةٍ أوْ قرآنٍ . . كانَ حقّاً على اللهِ تعالىٰ أنْ يبنيَ لهُ قصرينِ في الجنَّةِ ، مسيرةُ كلِّ قصرٍ منهما مئةُ عامٍ ، ويغرسَ لهُ بينَهُما غراساً لوْ طافَهُ أهلُ الدنيا . . لوسعَهُمْ »[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ ركعَ عشرَ ركعاتٍ ما بينَ المغربِ والعشاءِ . . بنى اللهُ لهُ قصراً في الجنَّةِ » ، فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : إذاً تكثرَ

= عبد الله بن رافع الحضرمي المصري التابعي ، وهو ما صوَّبه الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٥/ ١٧٩) .

(١) رواه الترمذي (٤٣٥) ، وابن ماجه (١٣٧٤) بلفظ : « من صلىٰ بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن . . عدلن له عبادة ثنتي عشرة سنة » ، وزاد الحافظ العراقي : (وأما قوله : « كأنه صلىٰ ليلة القدر » . . فهو من قول كعب الأحبار ، رواه أبو الوليد الصفار والديلمي في « مسند الفردوس » من حديث ابن عباس : « من صلىٰ أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلِّم أحداً . . رفعت له في عليين ، وكان كمن أدرك ليلة القدر بالمسجد الأقصىٰ » وسنده ضعيف) . « إتحاف » (٥/ ١٧٩) .

(٢) كذا في « القوت » (١/ ٣٠) ، ورواه أبو الفضل الزهري في « جزء يضمُّ حديثه » (٥٠٢) ، وقال ابن الملقن في « البدر المنير » (٥/ ٧٧٠) : (رواه الحاكم أبو أحمد في « كناه ») ، وقال الحافظ الزبيدي : (وبخط الحافظ ابن حجر : أسنده الديلمي من حديث ثوبان) . « إتحاف » (٥/ ١٧٩) .

قصورُنا يا رسولَ اللهِ ، فقالَ : « اللهُ أكثرُ وأفضلُ » أوْ قالَ : « أطيبُ »[1] .

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ صلَّى المغربَ في جماعةٍ ، ثمَّ صلَّىٰ بعدَها ركعتينِ لا يتكلَّمُ بشيءٍ فيما بينَ ذلكَ مِنْ أمرِ الدنيا ، ويقرأُ في الركعةِ الأولىٰ بـ(فاتحةِ الكتابِ) وعشرِ آياتٍ مِنْ أوَّلِ (سورةِ البقرةِ) وآيتينِ مِنْ وسطِها : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إلىٰ آخرِ الآيةِ ، و(قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) خمسَ عشرةَ مرَّةً ، ثمَّ يركعُ ويسجدُ ، فإذا قامَ في الرَّكعةِ الثانيةِ . . قرأَ (فاتحةَ الكتابِ) وآيةَ الكرسيِّ وآيتينِ بعدَها إلىٰ قولِهِ : ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، وثلاثَ آياتٍ مِنْ آخرِ (سورةِ البقرةِ) ، من قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ إلىٰ آخرِها ، و(قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) خمسَ عشرةَ مرَّةً » ووصفَ مِنْ ثوابِهِ في الحديثِ ما يخرجُ عنِ الحصرِ[2] .

وقالَ كُرْزُ بنُ وبرةَ وهوَ مِنَ الأبدالِ : قلتُ للخضرِ عليهِ السلامُ : علِّمني شيئاً أعملُهُ في كلِّ ليلةٍ ، فقالَ : إذا صليتَ المغربَ . . فقمْ إلىٰ وقتِ صلاةِ العشاءِ مصلِّياً مِنْ غيرِ أنْ تكلِّمَ أحداً ، وأقْبِلْ علىٰ صلاتِكَ التي أنتَ فيها ،

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٦٤) ، وهو في « القوت » (١/ ٣٠) .

(٢) كذا في « القوت » (١/ ٣٠) ، وسرد ما له من الجزاء طويلاً ، قال الحافظ العراقي : (رواه أبو الشيخ في « الثواب » من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير ، وهو ضعيف) . « إتحاف » (٥/ ١٨٠) ، وانظر « تنزيه الشريعة » (٢/ ١٢٣) .

وسلِّم منْ كلِّ ركعتينِ ، واقرأْ في كلِّ ركعةٍ (فاتحةَ الكتابِ) مرَّةً و(قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ثلاثاً ، فإذا فرغتَ مِنْ صلاتِكَ . . انصرفْ إلىٰ منزلِكَ ولا تكلِّمْ أحداً ، وصلِّ ركعتينِ ، واقرأْ (فاتحةَ الكتابِ) ، و(قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) سبعَ مرَّاتٍ في كلِّ ركعةٍ ، ثمَّ اسجدْ بعدَ تسليمِكَ واستغفرِ اللهَ تعالىٰ سبعَ مرَّاتٍ ، وقلْ : (سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلـٰهَ إلا اللهُ ، واللهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ) سبعَ مرَّاتٍ ، ثمَّ ارفعْ رأسَكَ مِنَ السجودِ واستوِ جالساً ، وارفعْ يديكَ وقلْ : (يا حيُّ يا قيُّومُ ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ ، يا إلـٰهَ الأوَّلينَ والآخرينَ ، يا رحمانَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهما ، يا ربُّ يا ربُّ يا ربُّ ، يا أللهُ يا أللهُ يا أللهُ) ، ثمَّ قمْ وأنتَ رافعٌ يديكَ وادعُ بهـٰذا الدعاءِ ، ثمَّ نمْ حيثُ شئتَ مستقبلَ القبلةِ علىٰ يمينِكَ ، وصلِّ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأدمِ الصلاةَ عليهِ حتَّىٰ يذهبَ بكَ النومُ ، فقلتُ لهُ : أحبُّ أنْ تعلمَني ممَّنْ سمعتَ هـٰذا ، فقالَ : إنِّي حضرتُ محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حيثُ عُلِّمَ هـٰذا الدعاءَ وأُوحيَ إليهِ بهِ ، فكنتُ عندَهُ ، وكانَ ذلكَ بمحضرٍ منِّي ، فتعلَّمتُهُ ممَّنْ علَّمَهُ إيَّاهُ[1] .

ويُقالُ : إنَّ هـٰذا الدعاءَ وهـٰذهِ الصلاةَ مَنْ داومَ عليهما بحسْنِ يقينٍ وصدْقِ نيَّةٍ . . رأىٰ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في منامِهِ قبلَ أنْ يخرجَ مِنَ الدنيا ، وقدْ فعلَ ذلكَ بعضُ الناسِ ، فرأىٰ أنَّهُ أُدخلَ الجنَّةَ ، ورأىٰ فيها

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٠) .

الأنبياءَ ، ورأىٰ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وكلَّمَهُ وعلَّمَهُ[١] .

وعلى الجملةِ : ما وردَ في فضْلِ إحياءِ ما بينَ العشاءينِ كثيرٌ ، حتَّىٰ قيلَ لعُبيدٍ مولىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هلْ كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يأمرُ بصلاةٍ غيرِ المكتوبةِ ؟ قالَ : ما بينَ المغربِ والعشاءِ[٢] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ صلَّىٰ ما بينَ المغربِ والعشاءِ . . فذلكَ صلاةُ الأوَّابينَ »[٣] .

وقالَ الأسودُ : ما أتيتُ ابنَ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ في هـٰذا الوقتِ إلا ورأيتُهُ يصلِّي ، فسألتُهُ ، فقالَ : نعمْ ، هيَ ساعةُ الغفلةِ[٤] .

وكانَ أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ يواظبُ عليها ويقولُ : هيَ ناشئةُ الليلِ[٥] ، ويقولُ : فيها نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[٦] .

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣١) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٤٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤/ ٢٧٤) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٥٩) عن ابن المنكدر مرسلاً .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٦١) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٣/ ٤٤) ، والطبراني في « الكبير » (٩/ ٢٨٨) ، والأسود هو ابن يزيد النخعي ، والد عبد الرحمٰن .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٥٩٧٧) .

(٦) رواه أبو داوود (١٣٢١) ، والترمذي (٣١٩٦) .

وقالَ أحمدُ بنُ أبي الحَواري : قلتُ لأبي سليمانَ الدارانيِّ : أصومُ النهارَ وأتعشَّىٰ بينَ المغربِ والعشاءِ أحبُّ إليكَ أوْ أفطرُ بالنهارِ وأحيي ما بينَهما ؟ فقالَ : اجمعْ بينَهُما ، فقلتُ : إنْ لمْ يتيسَّرْ ؟ قال : أفطرْ وصلِّ ما بينَهُما[1] .

❋ ❋ ❋

(١) قوت القلوب (١/ ٢٩) .

فضيلة قيام الليل

أمَّا مِنَ الآياتِ :

فقولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ . . . ﴾ الآيةَ[1] .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ .

وقولُهُ سبحانَهُ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ .

وقولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ . . . ﴾ الآيةَ .

وقولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، قيلَ : هيَ قيامُ الليلِ يستعانُ بالصبرِ عليهِ علىٰ مجاهدةِ النفسِ .

ومِنَ الأخبارِ :

قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يعقدُ الشيطانُ علىٰ قافيةِ أحدِكُمْ إذا هوَ نامَ ثلاثَ عقدٍ ، يضربُ مكانَ كلِّ عقدةٍ : عليكَ ليلٌ طويلٌ فارقُدْ ، فإنِ استيقظَ

---

(١) فقد قرن الله سبحانه وتعالىٰ قوَّام الليل برسوله صلى الله عليه وسلم وجمعهم معه في شكر المعاملة وحسن الجزاء فقال : ﴿ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ . « إتحاف » (١٨٢/٥) .

وذكرَ اللهَ عزَّ وجلَّ . . انحلَّتْ عقدةٌ ، فإنْ توضَّأَ . . انحلَّتْ عقدةٌ ، فإنْ صلَّىٰ . . انحلَّتْ عقدةٌ ، فأصبحَ نشيطاً طيِّبَ النَّفسِ ، وإلاَّ . . أصبحَ خبيثَ النفسِ كسلانَ »[1] .

وفي خبرٍ آخرَ : أنَّهُ ذُكِرَ عندَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلٌ نامَ الليلَ كلَّهُ حتَّىٰ أصبحَ ، فقالَ : « ذاكَ رجلٌ بالَ الشيطانُ في أُذنِهِ »[2] .

وفي الخبرِ : « إنَّ للشيطانِ سَعُوطاً ولَعُوقاً وذَرُوراً ، فإذا أسعطَ العبدَ . . ساءَ خلقُهُ ، وإذا ألعقَهُ . . ذَرِبَ لسانُهُ بالشرِّ ، وإذا ذرَّهُ . . نامَ الليلَ كلَّهُ حتَّىٰ يصبحَ »[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ركعتانِ يركعُهُما العبدُ في جوفِ الليلِ الآخرِ خيرٌ لهُ مِنَ الدنيا وما فيها ، ولولا أنْ أشقَّ علىٰ أمتي لفرضتُهما عليهِمْ »[4] .

---

(١) رواه البخاري (١١٤٢) ، ومسلم (٧٧٦) .

(٢) رواه البخاري (١١٤٤) ، ومسلم (٧٧٤) .

(٣) كذا في « القوت » (١/ ٤٠) ، وقد رواه الطبراني في « الكبير » (٧/ ٢٠٦) ، وابن عدي في « الكامل » (٣/ ٣٧٤) ، ولفظه : « إن للشيطان كحلاً ولعوقاً ، فإذا كحل الإنسان من كحله . . نامت عيناه عن الذكر ، وإذا لعَّقه من لعوقه . . ذرب لسانه بالشرِّ » ، ونحوه عند البيهقي في « الشعب » (٢٨٣٧) ، وانظر « الإتحاف » (٥/ ١٨٥) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٨٩) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٩٤) عن حسان بن عطية مرسلاً ، ورفعه الديلمي في « مسند الفردوس » (٥٤٠٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وفي الصحيحِ عنْ جابرٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إنَّ مِنَ الليلِ ساعةً لا يوافقُها عبدٌ مسلمٌ يسألُ اللهَ تعالىٰ خيراً إلاَّ أعطاهُ إيَّاهُ » ، وفي روايةٍ : « يسألُ اللهَ تعالىٰ خيراً مِنَ الدنيا والآخرةِ وذلكَ كلَّ ليلةٍ »[1] .

وقالَ المغيرةُ بنُ شعبةَ : قامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتَّىٰ تفطرَتْ قدماهُ ، فقيلَ لهُ : أما قدْ غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ منْ ذنبكَ وما تأخَّرَ ؟ فقالَ : « أفلا أكونُ عبداً شكوراً »[2] ، ويظهرُ مِنْ معناهُ : أنَّ ذلكَ كنايةٌ عنْ زيادةِ الرتبةِ ؛ فإنَّ الشكرَ سببُ المزيدِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يا أبا هريرةَ ؛ أتريدُ أنْ تكونَ رحمةُ اللهِ عليكَ حيّاً وميتاً ومقبوراً ومبعوثاً ؟ قمْ مِنَ الليلِ فصلِّ وأنتَ تريدُ رضا ربِّكَ ، يا أبا هريرةَ ؛ صلِّ في زوايا بيتِكَ . . يكنْ نورُ بيتِكَ في السماءِ كنورِ الكواكبِ والنجمِ عندَ أهلِ الدنيا »[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « عليكُمْ بقيامِ الليلِ ؛ فإنَّهُ دأبُ الصالحينَ

---

(١) رواه مسلم (٧٥٧) ، وأحمد في « المسند » (٣/ ٣١٣) ، وسقط الحديث من (أ) .

(٢) رواه البخاري (١١٣٠) ، ومسلم (٢٨١٩) .

(٣) هٰذا قطعة مما يسمىٰ بوصية أبي هريرة .

قبلَكُمْ ، وإنَّ قيامَ الليلِ قربةٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وتكفيرٌ للذنوبِ ، ومطردةٌ للداءِ عنِ الجسدِ ، ومنهاةٌ عنِ الإثمِ »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما مِنْ امرىءٍ تكونُ لهُ صلاةٌ بالليلِ فغلبَهُ عليها النومُ . . إلا كُتبَ لهُ أجرُ صلاتِهِ ، وكانَ نومُهُ صدقةً عليهِ »[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأبي ذرٍّ : « لوْ أردتَ سفراً . . أعددتَ لهُ عدَّةً ، فكيفَ سفرُ طريقِ القيامةِ ؟! ألا أنبئُكَ يا أبا ذرٍّ بما ينفعُكَ ذلكَ اليومَ ؟ » قالَ : بلىٰ بأبي أنتَ وأمِّي ، قالَ : « صمْ يوماً شديدَ الحرِّ ليومِ النشورِ ، وصلِّ ركعتينِ في ظلمةِ الليلِ لوحشةِ القبورِ ، وحجَّ حجَّةً لعظائمِ الأمورِ ، وتصدَّقْ بصدقةٍ علىٰ مسكينٍ ، أوْ كلمةَ حقٍّ تقولُها ، أوْ كلمةَ شرٍّ تسكتُ عنها »[3] .

ورُوي أنَّهُ كانَ علىٰ عهدِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رجلٌ إذا أخذَ الناسُ مضاجعَهُمْ وهدأتِ العيونُ . . قامَ يصلِّي ويقرأُ القرآنَ ويقولُ : يا ربَّ النارِ ؛ أجرني منها ، فذُكِرَ ذلكَ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « إذا كانَ ذلكَ . . فآذنوني » فأتاهُ ، فاستمعَ ، فلما أصبحَ . . قالَ : « يا فلانُ ؛ هلاَّ

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٩) .
(٢) رواه أبو داوود (١٣١٤) ، والنسائي (٣/ ٢٥٧) ، ونحوه ابن ماجه (١٣٤٤) .
(٣) رواه أحمد في « الزهد » (٨٠٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٦٥) من طريقه موقوفاً علىٰ أبي ذر ، ورفعه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١٠) .

سألتَ الجنَّةَ » ، قالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ إنِّي لستُ هناكَ ، ولا يبلغُ عملي ذلكَ ، فلمْ يلبَثْ إلا يسيراً حتَّىٰ نزلَ جبريلُ عليهِ السلامُ وقالَ : أخبرْ فلاناً أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قدْ أجارَهُ مِنَ النارِ وأدخلَهُ الجنَّةَ[1] .

ويُروىٰ أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ قالَ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نعمَ الرجلُ ابنُ عمرَ لوْ كانَ يصلِّي مِنَ الليلِ » ، فأخبرَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بذلكَ ، فكانَ يداومُ بعدَهُ علىٰ قيامِ الليلِ[2] ، قالَ نافعٌ : كانَ يصلِّي بالليلِ ثمَّ يقولُ : يا نافعُ ؛ أَسْحَرْنا ؟ فأقولُ : لا ، فيقومُ لصلاتِهِ ، ثمَّ يقولُ : يا نافعُ ؛ أسحرْنا ؟ فأقولُ : نعمْ ، فيقعدُ ، فيستغفرُ اللهَ تعالىٰ حتَّىٰ يطلعَ الفجرُ[3] .

وقالَ عليُّ بنُ أبي الحرِّ : شبعَ يحيىٰ بنُ زكريا عليهما السلامُ مِنْ خبزِ شعيرٍ ، فنامَ عنْ وِردِهِ حتَّىٰ أصبحَ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : يا يحيىٰ ؛ أوجدتَ داراً خيراً لكَ مِنْ داري أمْ وجدتَ جواراً خيراً لكَ مِنْ جواري ؟! فوعزَّتي وجلالي يا يحيىٰ ؛ لوِ اطلعتَ إلى الفردوسِ اطلاعةً . . لذابَ جسمُكَ ، ولزهقتْ نفسُكَ اشتياقاً ، ولوِ اطلعتَ إلىٰ جهنَّمَ اطلاعةً . . لذابَ

---

(١) قال الحافظ العراقي : (لم أقف له علىٰ أصل) . « إتحاف » (٥/ ١٨٧) .

(٢) رواه البخاري (١١٢٢) ، ومسلم (٢٤٧٩) وليس فيه ذكر جبريل عليه السلام .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣٠٣) ، وأبو الحسين الطيوري في « الطيوريات » (٦٩٣) .

شحمُكَ ، ولبكيتَ الصديدَ بعدَ الدموعِ ، ولبستَ الحديدَ بعدَ المسوحِ[1] .

وقيلَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ فلاناً يصلِّي باللَّيلِ ، فإذا أصبحَ . . سرقَ ، فقالَ : « سينهاهُ ما تقولُ »[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : رحمَ اللهُ رجلاً قامَ مِنَ اللَّيلِ فصلَّىٰ ، ثم أيقظ امرأتَهُ فصلَّتْ ، فإنْ أبتْ . . نضحَ في وجهِها الماءَ ، ورحمَ اللهُ امرأةً قامتْ مِنَ اللَّيلِ فصلَّتْ ، ثمَّ أيقظتْ زوجَها فصلَّىٰ ، فإنْ أبىٰ . . نضحَتْ في وجهِهِ الماءَ »[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنِ استيقظَ مِنَ اللَّيلِ وأيقظَ امرأتَهُ فصلَّيا ركعتينِ . . كُتِبا مِنَ الذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكراتِ »[4] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أفضلُ الصلاةِ بعدَ المكتوبةِ صلاةُ اللَّيلِ »[5] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٦٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٣٤) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٤٧) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٥٦٠) .

(٣) رواه أبو داوود (١٣٠٨) ، والنسائي (٣/ ٢٠٥) ، وابن ماجه (١٣٢٦) .

(٤) رواه أبو داوود (١٤٥١) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (١٣١٢) ، وابن ماجه (١٣٣٥) .

(٥) رواه مسلم (١١٦٣) .

وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ نامَ عنْ حزبِهِ أوْ عنْ شيءٍ منهُ بالليلِ فقرأَهُ بينَ صلاةِ الفجرِ والظهرِ . . كُتِبَ لهُ كأنَّما قرأَهُ مِنَ الليلِ »[1] .

الآثارُ :

يُروىٰ أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يمرُّ بالآيةِ في وِردِهِ بالليلِ فيسقطُ ، حتَّىٰ يُعادُ منها أياماً كثيرةً كما يُعادُ المريضُ[2] .

وكانَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ إذا هدأتِ العيونُ . . قامَ ، فيُسمعُ لهُ دويٌّ كدويِّ النحلِ حتَّىٰ يصبحَ[3] .

ويقالُ : إنَّ سفيانَ الثوريَّ رحمَهُ اللهُ شبعَ ليلةً فقالَ : (إنَّ الحمارَ إذا زيدَ في علفِهِ . . زيدَ في عملِهِ) ، فقامَ تلكَ الليلةَ حتَّىٰ أصبحَ[4] .

وكانَ طاووسٌ رحمهُ اللهُ إذا اضطجعَ علىٰ فراشِهِ . . يتقلَّىٰ عليهِ كما تتقلَّى

---

(١) رواه مسلم (٧٤٧) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٩١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٠٩) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣١٥) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٦١) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٩٦٤) .

الحبَّةُ في المقلاةِ ، ثمَّ يثبُ ويصلِّي إلى الصباحِ ، ثمَّ يقولُ : (طَيَّرَ ذكرُ جهنَّمَ نومَ العابدينَ)[١] .

وقالَ الحسنُ رحمَهُ اللهُ : ما نعلمُ عملاً أشدَّ مِنْ مكابدةِ الليلِ ونفقةِ هٰذا المالِ[٢] ، فقيلَ لهُ : ما بالُ المتهجِّدينَ مِنْ أحسنِ الناسِ وجوهاً ؟ فقالَ : إنَّهُمْ خلَوا بالرحمٰنِ ، فألبسَهُمْ نوراً مِنْ نورِهِ[٣] .

وقدِمَ بعضُ الصالحينَ مِنْ سفرٍ ، فمُهِّدَ لهُ فراشٌ ، فنامَ عليهِ حتَّىٰ فاتَهُ وِردُهُ ، فحلفَ ألاَّ ينامَ بَعدَها علىٰ فراشٍ أبداً[٤] .

وكانَ عبدُ العزيزِ بنُ أبي روادٍ رحمَهُ اللهُ إذا جَنَّ الليلُ . . يأتي فراشَهُ ، فيمرُّ يدَهُ عليهِ ويقولُ : إنَّكَ للينٌ ، ووااللهِ ؛ إنَّ فِي الجنَّةِ لألينَ منكَ ، ولا يزالُ يصلِّي الليلَ كلَّهُ[٥] .

وقالَ الفضيلُ رحمَهُ اللهُ : (إنِّي لأستقبلُ الليلَ مِنْ أوَّلِهِ ، فيهوِّلني طولُهُ ، فأفتتحُ القرآنَ ، فأصبحُ وما قضيتُ نهمتي)[٦] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٩١) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١٧) .
(٣) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٢٨) .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١٣٧) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٧٩) .
(٥) وقد روى ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١١٨) صبره علىٰ قيام الليل .
(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٨٨) عن محمد بن المنكدر قاله لأمه .

وقالَ الحسنُ : (إنَّ الرجلَ ليذنبُ الذنبَ فيحرمُ بهِ قيامَ الليلِ)[١] .

وقالَ الفضيلُ : (إذا لمْ تقدرْ علىٰ قيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ . . فاعلمْ أنَّكَ محرومٌ وقدْ كثرَتْ خطيئتُكَ)[٢] .

وكانَ صلةُ بنُ أشيمَ رحمهُ اللهُ يصلِّي الليلَ كلَّهُ ، فإذا كانَ في السحرِ . . قالَ : (إلـٰهي ؛ ليسَ مثلي يطلبُ الجنَّةَ ، ولكنْ أجرني برحمتِكَ مِنَ النارِ)[٣] .

وقالَ رجلٌ لبعضِ الحكماءِ : إنِّي لأضعفُ عَنْ قيامِ الليلِ ، فقالَ لهُ : يا أخي ؛ لا تعصِ اللهَ تعالىٰ بالنهارِ ولا تقمْ بالليلِ[٤] .

وكانَ للحسنِ بنِ صالحٍ رحمهُ اللهُ جاريةٌ ، فباعَها مِنْ قومٍ ، فلمَّا كانَ في جوفِ الليلِ . . قامتِ الجاريةُ فقالَت : يا أهلَ الدارِ ؛ الصلاةَ الصلاةَ ، فقالوا : أصبحنا ، أطلع الفجرُ ؟! فقالتْ : وما تصلونَ إلا المكتوبةَ ؟! فقالوا : لا ، فرجعتْ إلى الحسنِ فقالَت : يا مولايَ ؛ بعتني مِنْ قومٍ لا يصلُّونَ بالليلِ ، ردَّني ، فردَّها[٥] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٣٦٣) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٧٠) .
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٩٦) .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٢٤٠) .
(٤) أورد نحوه المروزي في « قيام الليل » (١/ ٦) .
(٥) أوردها العجلي في « الثقات » (١/ ٢٩٥) .

وقالَ الربيعُ : (بتُّ في منزلِ الشافعيِّ رحمهُ اللهُ ليالِيَ كثيرةً ، فلمْ يكنْ ينامُ منَ الليلِ إلا أيسرَهُ)[1] .

وقالَ أبو الجويريةِ : (لقدْ صحبتُ أبا حنيفةَ رحمَهُ اللهُ ستَّةَ أشهرٍ ، فما فيها ليلةٌ وضعَ جنبَهُ على الأرضِ)[2] .

وكانَ أبو حنيفةَ يحيي نصفَ الليلِ ، فمرَّ بقومٍ ، فقالوا : إنَّ هـٰذا يحيي الليلَ كلَّهُ ، فقالَ : إنِّي أستحيِي أنْ أُوصفَ بما لا أفعلُ ، فكانَ بعدَ ذلكَ يحيي الليلَ كلَّهُ[3] ، ويُروىٰ أنَّهُ ما كانَ لهُ فراشٌ بالليلِ[4] .

ويقالُ : إنَّ مالكَ بنَ دينارٍ رضيَ اللهُ عنهُ قامَ يردِّدُ هـٰذهِ الآيةَ ليلتَهُ حتَّىٰ أصبحَ : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ... ﴾ الآيةَ[5] .

وقالَ المغيرةُ بنُ حبيبٍ : رمقتُ مالكَ بنَ دينارٍ ، فتوضَّأَ بعدَ العشاءِ ، ثمَّ قامَ إلىٰ مصلاَّهُ ، فقبضَ علىٰ لحيتِهِ ، فخنقتْهُ العبرةُ ، فجعلَ يقولُ : اللهمَّ ؛ حرِّمْ شيبةَ مالكٍ على النارِ ، إلـهي ؛ قدْ علمتَ ساكنَ الجنةِ مِنْ

---

(١) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٥٧) .
(٢) رواه أبو نعيم في « مسند أبي حنيفة » (ص٢١) .
(٣) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٥٣) .
(٤) أورده الذهبي في « مناقب أبي حنيفة وصاحبيه » (ص ٢١) .
(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٤) ، والطبراني في « الكبير » (٢/ ٥٠) عن تميم الداري رضي الله عنه .

ساكنِ النارِ ، فأيُّ الرجلينِ مالكٌ ؟ وأيُّ الدارينِ دارُ مالكٍ ؟ فلمْ يزلْ ذلكَ قولَهُ حتَّىٰ طلعَ الفجرُ[1] .

وقالَ مالكُ بنُ دينارٍ : سهوتُ ليلةً عنْ وِردي ونمتُ ، فإذا أنا في المنامِ بجاريةٍ كأحسنِ ما يكونُ ، وفي يدِها رقعةٌ ، فقالتْ لي : أتحسنُ أنْ تقرأَ ؟ فقلتُ : نعمْ ، فدفعتْ إليَّ الرقعةَ ، فإذا فيها[2] : [من الوافر]

أَأَلْهَتْكَ ٱللَّذائِذُ وَٱلأَمانِي ... عَنِ ٱلْبيضِ ٱلأَوانِسِ فِي ٱلْجِنانِ

تَعِيشُ مُخَلَّداً لا مَوْتَ فِيها ... وَتَلْهُو فِي ٱلْجِنَانِ مَعَ ٱلْحِسانِ

تَنَبَّهْ مِنْ مَنامِكَ إنَّ خَيْراً ... مِنَ ٱلنَّوْمِ ٱلتَّهَجُّدُ بِٱلْقُرانِ

وقيلَ : حَجَّ مسروقٌ ، فما باتَ ليلةً إلا ساجداً[3] .

ويُروىٰ عنْ أزهرَ بنِ مغيثٍ وكانَ مِنَ القوَّامينَ أنَّهُ قالَ : رأيتُ في المنامِ امرأةً لا تشبهُ نساءَ أهلِ الدنيا ، فقلْتُ لها : مَنْ أنتِ ؟ فقالتْ : حوراءُ ،

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (١٨٧٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٦١) بنحوه .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٥١) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٢٤) عن بعض العابدين ، والخبر في « الحلية » (١٠/ ١٥) عن أبي سليمان الداراني ، وهي عند الرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (٤/ ٩٩) عن الحسن البصري .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٧٥) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٦٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٩٥) .

فقلتُ : زوجيني نفسَكِ ، فقالتِ : اخطبْني إلىٰ سيِّدي وأمهرْني ، فقلتُ : وما مهرُكِ ؟ فقالتْ : طولُ التهجُّدِ[1] .

وقالَ يوسفُ بنُ مهرانَ : بلغني أنَّ تحتَ العرشِ ملكاً في صورةِ ديكٍ ، براثنُهُ مِنْ لؤلؤٍ وصِئْصِئتُهُ مِنْ زبرجدٍ أخضرَ ، فإذا مضىٰ ثلثُ الليلِ الأوَّلُ . . ضربَ بجناحيهِ وزقا وقالَ : ليقمِ القائمونَ ، فإذا مضىٰ نصفُ الليلِ . . ضربَ بجناحيهِ وزقا وقالَ : ليقمِ المتهجِّدونَ ، فإذا مضىٰ ثلثا الليلِ . . ضربَ بجناحيهِ وزقا وقالَ : ليقمِ المصلُّونَ ، فإذا طلعَ الفجرُ . . ضربَ بجناحيهِ وزقا وقالَ : ليقمِ الغافلونَ وعليهِمْ أوزارُهُمْ[2] .

ويُقالُ : إنَّ وهبَ بنَ منبِّهٍ اليمانيَّ رحمهُ اللهُ ما وضعَ جنبَهُ إلى الأرضِ ثلاثينَ سنةً ، وكانَ يقولُ : لأنْ أرىٰ في بيتي شيطاناً أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أرىٰ وسادةً ؛ لأنَّها تدعو إلى النومِ ، وكانتْ لهُ مسورةٌ مِنْ أدمٍ إذا غلبَهُ النومُ . . وضعَ صدرَهُ عليها وخفقَ خفقاتٍ ، ثمَّ يفزعُ إلى القيامِ[3] .

وقالَ بعضُهُمْ : رأيتُ ربَّ العزَّةِ جلَّ جلالُهُ في النومِ ، فسمعتُهُ يقولُ : وعزَّتي وجلالي ؛ لأكرمَنَّ مثوىٰ سليمانَ التيميِّ ؛ فإنَّهُ صلَّىٰ لي الغداةَ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٥٥) .

(٢) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (٣/ ١٠١٠) ، وأورده صاحب « القوت » (١/ ٣٦) ، والصِّئصئة : أعلى القفا ، أو قرن يكون في رجله ، وقد روى الحافظ الزبيدي حديث الديك الذي تحت العرش مسلسلاً في « إتحافه » (٥/ ١٩١) .

(٣) قوت القلوب (١/ ٣٧) .

بوضوءِ العشاءِ الآخرةِ أربعينَ سنةً[1] ، ويُقالُ : كانَ مذهبُهُ أنَّ النومَ إذا خامرَ القلبَ . . بطلَ الوضوءُ .

ورُوي في بعضِ الكتبِ القديمةِ عنِ اللهِ تعالىٰ أنَّهُ قالَ : إنَّ عبدي الذي هوَ عبدي حقاً الذي لا ينتظرُ بقيامِهِ صياحَ الديكِ[2] .

❋ ❋ ❋

(١) القائل هو رقبة بن مصقلة ، رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٩٥٢) .

(٢) قوت القلوب (١/ ٣٨) .

بيان الأسباب التي بها يتيسّر قيام اللّيل

اعلمْ : أنَّ قيامَ الليلِ عسيرٌ على الخلقِ إلاَّ علىٰ مَنْ وُفِّقَ للقيامِ بشروطِهِ الميسِّرةِ لهُ ظاهراً وباطناً .

فأمَّا الظاهرةُ . . فأربعةُ أمورٍ :

الأوَّلُ : ألاَّ يكثرَ الأكلَ ، فيكثرَ الشربَ ، فيغلبَهُ النومُ ويثقلَ عليهِ القيامُ .

كانَ بعضُ الشيوخِ يقفُ على المائدةِ كلَّ ليلةٍ ويقولُ : (معاشرَ المريدينَ ؛ لا تأكلوا كثيراً ، فتشربوا كثيراً ؛ فترقُدوا كثيراً ، فتتحسَّروا عندَ الموتِ كثيراً)[1] ، وهـٰذا هوَ الأصلُ الكبيرُ ، وهوَ تخفيفُ المعدةِ عنْ ثقلِ الطعامِ[2] .

الثاني : ألاَّ يتعبَ نفسَهُ بالنهارِ في الأعمالِ التي تعيا بها الجوارحُ ، وتضعفُ بها الأعصابُ ، فإنَّ ذلكَ أيضاً مجلبةٌ للنومِ .

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٥٢٨) في نفر من بني إسرائيل ، وهو في « القوت » (١/ ٩٨) ، وفيه : (فتخسروا) .

(٢) ويتبع هـٰذا السبب الظاهر سبب آخر باطن ، وهو أن يتناول ما يأكل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن ، فإنه يعين علىٰ قيام الليل ؛ لأن بالذكر يذهب داؤه ، فإن وجد للطعام ثقلاً في المعدة . . فينبغي أن يعلم أن ثقله على القلب أكثر ، فلا ينام حتىٰ يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار . « إتحاف » (٥/ ١٩٢) .

الثالثُ : ألاَّ يتركَ القيلولةَ بالنهارِ ؛ فإنَّها سنَّةٌ للاستعانةِ علىٰ قيامِ الليلِ .

الرابعُ : ألاَّ يحتقبَ الأوزارَ بالنهارِ ، فإنَّ ذلكَ يقسِّي القلبَ ويحولُ بينَهُ وبينَ أسبابِ الرحمةِ .

قالَ رجلٌ للحسنِ : يا أبا سعيدٍ ؛ إنِّي أبيتُ معافىً وأحبُّ قيامَ الليلِ ، وأعدُّ طهوري ، فما بالي لا أقومُ ؟ فقالَ : ذنوبُكَ قيَّدَتْكَ[1] .

وكانَ الحسنُ رحمهُ اللهُ إذا دخلَ السوقَ فسمعَ لغطَهُمْ ولغوَهُمْ . . يقولُ : أظنُّ أنَّ ليلَ هؤلاءِ ليلُ سوءٍ ؛ فإنَّهُمْ لا يقيلونَ[2] .

وقالَ الثوريُّ : حرمتُ قيامَ الليلِ خمسةَ أشهرٍ بذنبٍ أذنبتُهُ ، قيلَ : وما ذلكَ الذنبُ ؟ قالَ : رأيتُ رجلاً بكىٰ ، فقلتُ في نفسي : هـٰذا مراءٍ[3] .

وقالَ بعضُهُمْ : دخلتُ علىٰ كرزِ بنِ وبرةَ وهوَ يبكي ، فقلتُ : أتاكَ نعيُ بعضِ أهلِكَ ؟ فقالَ : أشدُّ ، فقلتُ : وجعٌ يؤلمُكَ ؟ قالَ : أشدُّ ، قلتُ : فما ذاكَ ؟ قالَ : بابي مغلقٌ ، وستري مسبلٌ ، ولمْ أقرأْ حِزبيَ البارحةَ ، وما ذاكَ إلاَّ بذنبٍ أحدثتُهُ[4] .

وهـٰذا لأنَّ الخيرَ يدعو إلى الخيرِ ، والشرَّ يدعو إلى الشرِّ ، والقليلُ منْ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٩) ، وسبق نحوه عنه قريباً .
(٢) رواه أحمد في « الزهد » (١٥٣٥) ، وهو في « القوت » (١/ ٣٩) .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٧) ، وهو في « القوت » (١/ ٣٩) بتمامه .
(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٧٩) ، وهو في « القوت » (١/ ٣٩) .

كلٍّ واحدٍ منهما يجرُّ إلى الكثيرِ ؛ ولذلكَ قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ رحمهُ اللهُ : (لا تفوتُ أحداً صلاةُ جماعةٍ إلا بذنبٍ)[1] .

وكانَ يقولُ : (الاحتلامُ بالليلِ عقوبةٌ ، والجنابةُ البعدُ)[2] .

وقالَ بعضُ العلماءِ : (إذا صمتَ يا مسكينُ . . فانظرْ عندَ مَنْ تفطرُ ، وعلىٰ أيِّ شيءٍ تفطرُ ؛ فإنَّ العبدَ ليأكلُ الأكلةَ فينقلبُ قلبُهُ عمَّا كانَ عليهِ ، ولا يعودُ إلىٰ حالِهِ الأوَّلِ)[3] .

فالذنوبُ كلُّها تورثُ قساوةَ القلبِ ، وتمنعُ مِنْ قيامِ الليلِ ، وأخصُّها بالتأثيرِ تناولُ الحرامِ ، وتؤثِّرُ اللقمةُ الحلالُ في تصفيةِ القلبِ وتحريكِهِ إلى الخيرِ ما لا يؤثِّرُ غيرُها ، ويعرفُ ذلكَ أهلُ المراقبةِ للقلوبِ بالتجربةِ بعدَ شهادةِ الشرعِ لهُ ، ولذلكَ قالَ بعضُهُمْ : (كمْ مِنْ أكلةٍ منعَتْ قيامَ ليلةٍ ، وكمْ مِنْ نظرةٍ منعَتْ قراءةَ سورةٍ ، وإنَّ العبدَ ليأكُلُ أكلةً أوْ يفعلُ فعلةً . . فيحرمُ بها قيامَ سنةٍ)[4] .

وكما أنَّ الصلاةَ تنهىٰ عنِ الفحشاءِ والمنكرِ . . فكذلكَ الفحشاءُ تنهىٰ عنِ الصلاةِ وسائرِ الخيراتِ .

وقالَ بعضُ السجَّانينَ بدِينَوَرَ : بقيتُ سجَّاناً نيفاً وثلاثينَ سنةً أسألُ عنْ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٤٠) .
(٢) قوت القلوب (١/ ٤٠) .
(٣) قوت القلوب (١/ ٤٠) .
(٤) قوت القلوب (١/ ٤٠) .

كلِّ مأخوذٍ بالليلِ أنَّهُ هلْ صلَّى العشاءَ في جماعةٍ ؟ فكانوا يقولونَ : لا[1] .

وهـٰذا تنبيهٌ علىٰ أنَّ بركةَ الجماعةِ تنهىٰ عنْ تعاطي الفحشاءِ والمنكرِ[2] .

❁ ❁ ❁

وأمَّا الميسراتُ الباطنةُ . . فأربعةُ أمورٍ :

الأوَّلُ : سلامةُ القلبِ عنِ الحقدِ علىٰ أحدٍ مِنَ المسلمينَ ، وعنِ البدعِ ، وعنْ فضولِ همومِ الدنيا ، فالمستغرقُ الهمِّ بتدبيرِ الدنيا لا يتيسَّرُ لهُ القيامُ ، وإنْ قامَ . . فلا يتفكَّرُ في صلاتِهِ إلا في مهمَّاتِهِ ، ولا يجولُ إلا في وساوسِهِ ، وفي مثلِ ذلكَ يُقالُ[3] : [من الطويل]

يخبِّرُني البوابُ أنَّكَ نائِمٌ وَأَنْتَ إذا ٱسْتَيْقَظْتَ أَيْضاً فَنائِمُ

الثاني : خوفٌ غالبٌ يلزمُ القلبَ معَ قصرِ الأملِ ؛ فإنَّهُ إذا تفكَّرَ في أهوالِ الآخرةِ ودركاتِ جهنَّمَ . . طارَ نومُهُ ، وعظمَ حذرُهُ ؛ كما قالَ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٤٠) .

(٢) وذكر الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٥/ ١٩٤) زيادة مُيسِّرات ، تتلخص في الوضوء قبل المغرب واستقبال الليل علىٰ طهارة مستقبل القبلة وهو يذكر الله تعالىٰ ، وإحياء ما بين العشاءين ، وترك الحديث بعد العشاء ، وتجديد الوضوء والطهارة بعده كذلك ، وذكر الله تعالىٰ والصلاة إلىٰ أن ينام ، وتغيير العادة بهيئة النوم .

(٣) البيت لمحمد بن عمرو الحربي (ت٢٤٠هـ) . انظر « معجم الشعراء » للمرزباني (ص٤٦٦) .

طاووسٌ : (إنَّ ذكرَ جهنَّمَ طيَّرَ نومَ العابدينَ)[1] ، وكما حُكِيَ أنَّ غلاماً بالبصرةِ اسمُهُ صهيبٌ ، كانَ يقومُ الليلَ كلَّهُ ، فقالتْ لهُ سيِّدتُهُ : إنَّ قيامَكَ بالليلِ يضرُّ بعملِكَ بالنهارِ ، فقالَ : إنَّ صهيباً إذا ذكرَ النارَ . . لا يأتيهِ النومُ .

وقيلَ لغلامٍ آخرَ وهوَ يقومُ كلَّ الليلِ مثلَ ذلكَ ، فقالَ : إذا ذكرتُ النارَ . . اشتدَّ خوفي ، وإذا ذكرتُ الجنَّةَ . . اشتدَّ شوقي ، فلا أقدرُ أنْ أنامَ[2] .

ولذي النونِ المصريِّ رحمهُ اللهُ[3] : [من الكامل]

مَنَعَ ٱلْقُرَانُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ... مُقَلَ ٱلْعُيُونِ بِلَيْلِهَا أَنْ تَهْجَعَا

فَهِمُوا عَنِ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَلِيلِ كَلامَهُ ... فَرِقَابُهُمْ ذَلَّتْ إِلَيْهِ تَخَضُّعَا

وأنشدوا أيضاً : [من الخفيف]

يَا طَوِيلَ ٱلرُّقَادِ وَٱلْغَفَلاتِ ... كَثْرَةُ ٱلنَّوْمِ تُورِثُ ٱلْحَسَرَاتِ

إِنَّ فِي ٱلْقَبْرِ إِنْ نَزَلْتَ إِلَيْهِ ... لَرُقَاداً يَطُولُ بَعْدَ ٱلْمَمَاتِ

وَمِهَاداً مُمَهَّداً لَكَ فِيهِ ... بِذُنُوبٍ عَمِلْتَ أَوْ حَسَنَاتِ

أَأَمِنْتَ ٱلْبَيَاتَ مِنْ مَلَكِ ٱلْمَوْ ... تِ وكَمْ نَالَ آمِناً بِبَيَاتِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٩١) .

(٢) وهٰذا الغلام كان لرباح القيسي ، وقد أورد الخبر أبو حيان التوحيدي في « البصائر والذخائر » (٨/ ٨٨) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ١٣) .

وقالَ ابنُ المباركِ رحمةُ اللهِ عليهِ[1] : [من الوافر]

إذا مـا ٱللَّيْـلُ أَظْلَـمَ كـابَـدُوهُ فَيُسْفِـرُ عَنْهُـمُ وَهُـمُ رُكُـوعُ

أَطـارَ ٱلْخَـوْفُ نَـوْمَهُـمُ فَقـامُـوا وَأَهْلُ ٱلأَمْنِ فِي ٱلدُّنْيا هُجُوعُ

الثالثُ : أنْ يعرفَ فضلَ قيامِ الليلِ بسماعِ هٰذهِ الآياتِ والأخبارِ والآثارِ التي أوردناها ؛ حتَّىٰ يستحكمَ بذلكَ رجاؤُهُ وشوقُهُ إلىٰ ثوابِهِ ، فيهيِّجَهُ الشوقُ لطلبِ المزيدِ والرغبةِ في درجاتِ الجنانِ ؛ كما حُكِيَ أنَّ بعضَ الصالحينَ رجعَ مِنْ غزاةٍ غزاها ، فلمَّا كانَ الليلُ . . مهدَتِ امرأتُهُ فراشَها وجلستْ تنتظرُهُ ، فدخلَ المسجدَ ولمْ يزلْ يصلِّي حتَّىٰ أصبحَ ، فقالَتْ زوجتُهُ : كنَّا ننتظرُكَ مدَّةً ، فلمَّا قدمتَ . . صلَّيْتَ إلى الصبحِ ! قالَ : واللهِ ؛ إنِّي كنتُ أتفكَّرُ في حوراءَ مِنْ حورِ الجنَّةِ طولَ الليلِ ، فنسيتُ الزوجةَ والمنزلَ ، فقمتُ طولَ ليلتي شوقاً إليها .

الرابعُ : وهوَ أشرفُ البواعثِ ، الحبُّ للهِ تعالىٰ ، وقوَّةُ الإيمانِ بأنَّهُ في قيامِهِ لا يتكلَّمُ بحرفٍ إلا وهوَ مناجٍ بهِ ربَّهُ ، وهوَ مطَّلعٌ عليهِ معَ مشاهدةِ ما يخطرُ بقلبِهِ ، وأنَّ تلكَ الخطراتِ مِنَ اللهِ تعالىٰ خطابٌ معهُ ، فإذا أحبَّ اللهَ تعالىٰ . . أحبَّ ـ لا محالةَ ـ الخلوةَ بهِ ، وتلذَّذَ بالمناجاةِ ، فتحمِلُهُ لذَّةُ المناجاةِ بالحبيبِ علىٰ طولِ القيامِ .

---

(١) ديوان عبد الله بن المبارك (ص٥٤) .

ولا ينبغي أنْ يستبعدَ هـٰذهِ اللذَّةَ ؛ إذْ يشهدُ لها العقلُ والنقلُ :

فأمَّا العقلُ : فليعتبرْ حالَ المحبِّ لشخصٍ بسببِ جمالِهِ ، أوْ لمَلِكٍ بسببِ إنعامِهِ وأموالِهِ . . أنَّهُ كيفَ يتلذَّذُ بالخلوةِ بهِ ومناجاتِهِ حتَّىٰ لا يأتيهِ النومُ طولَ ليلِهِ ؟!

❀ ❀ ❀

فإنْ قلتَ : إنَّ الجميلَ يُتلذَّذُ بالنظرِ إليهِ ، وإنَّ اللهَ تعالىٰ لا يُرى ؟

فاعلمْ : أنَّهُ لو كانَ الجميلُ المحبوبُ وراءَ سترٍ ، أوْ كانَ في بيتٍ مظلمٍ . . لكانَ المحبُّ يتلذَّذُ بمجاورتِهِ المجرَّدَةِ دونَ النظرِ ودونَ الطمعِ في أمرٍ آخرَ سواهُ ، وكانَ يتنعَّمُ بإظهارِ حبِّهِ إليهِ وذكرِهِ بلسانِهِ بمسمعٍ منهُ ، وإنْ كانَ ذلكَ أيضاً معلوماً عندَهُ .

❀ ❀ ❀

فإنْ قلتَ : إنَّهُ ينتظرُ جوابَهُ ، فيتلذَّذُ بسماعِ جوابِهِ ، وليسَ يسمعُ كلامَ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟

فاعلمْ : أنَّهُ وإنْ كانَ يعلمُ أنَّهُ لا يجيبُهُ ويسكتُ عنهُ . . فقدْ بقيتْ لهُ أيضاً لذَّةٌ في عرْضِ أحوالِهِ عليهِ ، ورفعِ سريرتِهِ إليهِ ، كيفَ والموقنُ يسمعُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ كلَّ ما يردُ علىٰ خاطرِهِ في أثناءِ مناجاتِهِ ، فيتلذَّذُ بهِ ، وكذا الذي يخلو بالمَلِكِ ويعرضُ عليهِ حاجاتِهِ في جنحِ الليلِ يتلذَّذُ بهِ في رجاءِ إنعامِهِ ،

والرجاءُ في حقِّ اللهِ تعالىٰ أصدقُ ، وما عندَ اللهِ خيرٌ وأبقىٰ وأنفعُ ممَّا عندَ غيرِهِ ، فكيفَ لا يُتلذَّذُ بعرْضِ الحاجاتِ عليهِ في الخلواتِ ؟!

❁ ❁ ❁

وأمَّا النقلُ : فيشهدُ لهُ أحوالُ قُوَّامِ الليلِ في تلذُّذِهِمْ بقيامِ الليلِ ، واستقصارِهِمْ لهُ كما يستقصِرُ المحبُّ ليلةَ وصالِ الحبيبِ ، حتَّىٰ قيلَ لبعضِهِمْ : كيفَ أنتَ والليلُ ؟ قال : ما راعيتُهُ قطُّ ، يريني وجهَهُ ثمَّ ينصرفُ ، وما تأمَّلْتُهُ بعدُ[1] .

وقالَ آخرُ : (أنا والليلُ فرسا رهانٍ ، مرَّةً يسبقني إلى الفجرِ ، ومرَّةً يقطعني عنِ الفكرِ)[2] .

وقيلَ لبعضِهِمْ : كيفَ الليلُ عليكَ ؟ فقالَ : ساعةٌ أنا فيها بينَ حالينِ : أفرحُ بظلمتِهِ إذا جاءَ ، وأغتمُّ بفجرِهِ إذا طلعَ ، ما تمَّ فرحي بهِ قطُّ[3] .

وقالَ عليُّ بنُ بكَّارٍ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أحزنَني شيءٌ سوىٰ طلوعِ الفجرِ)[4] .

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ : (إذا غربَتِ الشمسُ . . فرحتُ بالظلامِ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٦) .
(٢) قوت القلوب (١/ ٣٦) .
(٣) قوت القلوب (١/ ٣٦) .
(٤) قوت القلوب (١/ ٣٦) .

لخلوتي بربِّي ، وإذا طلعَتْ . . حزنتُ لدخولِ الناسِ عليَّ)[1] .

وقالَ أبو سليمانَ : (أهلُ الليلِ في ليلِهِمْ أَلَذُّ مِنْ أهلِ اللهوِ في لهوِهِمْ ، ولولا الليلُ . . ما أحببتُ البقاءَ في الدنيا)[2] .

وقالَ أيضاً : (لوْ عوَّضَ اللهُ سبحانَهُ أهلَ الليلِ مِنْ ثوابِ أعمالِهِمْ ما يجدونَهُ مِنَ اللذَّةِ . . لكانَ ذلكَ أكثرَ مِنْ ثوابِ أعمالِهِمْ)[3] .

وقالَ بعضُ العلماءِ : (ليسَ في الدنيا وقتٌ يشبهُ نعيمَ أهلِ الجنَّةِ إلا ما يجدُهُ أهلُ التملُّقِ في قلوبِهِمْ بالليلِ مِنْ حلاوةِ المناجاةِ)[4] .

وقالَ بعضُهُمْ : (لذَّةُ المناجاةِ ليستْ منَ الدنيا ، إنَّما هيَ مِنَ الجنَّةِ أظهرَها اللهُ تعالىٰ لأوليائِهِ ، لا يجدُها سواهُمْ)[5] .

وقالَ ابنُ المنكدرِ : (ما بقيَ مِنْ لذَّاتِ الدنيا إلا ثلاثٌ : قيامُ الليلِ ، ولقاءُ الإخوانِ ، والصلاةُ في الجماعةِ)[6] .

وقالَ بعضُ العارفينَ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ ينظرُ بالأسحارِ إلىٰ قلوبِ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٦) .
(٢) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص٣١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٢٧٥) .
(٣) قوت القلوب (١/ ٣٦) .
(٤) قوت القلوب (١/ ٣٦) .
(٥) قوت القلوب (١/ ٣٦) بنحوه .
(٦) قوت القلوب (١/ ٣٧) .

المتيقِّظينَ فيملؤُها أنواراً ، فترِدُ الفوائدُ علىٰ قلوبِهِمْ فتستنيرُ ، ثمَّ تنتشرُ مِنْ قلوبِهِمْ العوافي إلىٰ قلوبِ الغافلينَ) .

وقالَ بعضُ العلماءِ مِنَ القدماءِ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ بعضِ الصديقينَ أنَّ لي عباداً مِنْ عبادي يحبونَنِي وأحبُّهُمْ ، ويشتاقونَ إليَّ وأشتاقُ إليهم ، ويذكروني وأذكرُهُمْ ، وينظرونَ إليَّ وأنظرُ إليهِمْ ، فإنْ حذوتَ طريقَهُمْ . . أحببتُكَ ، وإنْ عدلْتَ عنهُمْ . . مقتُّكَ ، قالَ : يا ربِّ ؛ وما علامتُهُمْ ؟ قالَ : يراعونَ الظلالَ بالنهارِ كما يراعي الراعي غنمَهُ ، ويحنُّونَ إلىٰ غروبِ الشمسِ كما تحنُّ الطيرُ إلىٰ أوكارِها ، فإذا جنَّهُمُ الليلُ ، واختلطَ الظلامُ ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِهِ . . نصبوا لي أقدامَهُمْ ، وافترشوا لي وجوهَهُمْ ، وناجَوْني بكلامي ، وتملَّقوا إليَّ بإنعامي ، فبينَ صارخٍ وباكٍ ، وبينَ متأوِّهٍ وشاكٍ ، بعيني ما يتحمَّلونَ مِنْ أجلي ، وبسمعي ما يشتكونَ مِنْ حبِّي ، أوَّلُ ما أعطيهِمْ أقذفُ مِنْ نوري في قلوبِهِمْ ، فيخبرونَ عنِّي كما أخبرُ عنهُمْ ، والثانيةُ : لوْ كانتِ السماواتُ السبعُ والأرضونَ السبعُ وما فيهما في موازينِهِمْ . . لاستقلَلْتُها لهُمْ ، والثالثةُ : أقبلُ بوجهي عليهِمْ ، فترىٰ مَنْ أقبلتُ بوجهي عليهِ أيعلمُ أحدٌ ما أريدُ أنْ أعطيَهُ ؟!(١) .

وقالَ مالكُ بنُ دينارٍ رحمَهُ اللهُ : (إذا قامَ العبدُ يتهجَّدُ مِنَ الليلِ . . قربَ

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٧) ، ومعنى (افترشوا وجوههم) أي : بالسجود .

منهُ الجبَّارُ عزَّ وجلَّ ، وكانوا يرونَ ما يجدونَ في قلوبِهِمْ مِنَ الرقَّةِ والحلاوةِ والأنوارِ مِنْ قربِ الربِّ عزَّ وجلَّ مِنَ القلبِ)[1] .

وهـٰذا لهُ سرٌّ وتحقيقٌ ، وستأتي الإشارةُ إليهِ في كتابِ المحبَّةِ .

وفي الأخبارِ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ : (أيْ عبدي ؛ أنا اللهُ الذي اقتربتُ لقلبِكَ ، وبالغيبِ رأيتَ نوري)[2] .

وشكا بعضُ المريدينَ إلىٰ أستاذِهِ طولَ سهرِ الليلِ ، وطلبَ حيلةً يجتلبُ بها النومَ ، فقالَ أستاذُهُ : يا بنيَّ ؛ إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ نفحاتٍ في الليلِ والنهارِ تصيبُ القلوبَ المتيقِّظةَ ، وتخطىءُ القلوبَ النائمةَ ، فتعرَّضْ لتلكَ النفحاتِ ، فقالَ : يا أستاذُ ؛ تركتني لا أنامُ بالليلِ ولا بالنهارِ[3] .

واعلمْ : أنَّ هـٰذهِ النفحاتِ بالليلِ أرجىٰ ؛ لما في قيامِ الليلِ مِنْ صفاءِ القلبِ واندفاعِ الشواغلِ ، وفي الخبرِ الصحيحِ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إنَّ مِنَ الليلِ ساعةً لا يوافقُها عبدٌ مسلمٌ يسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ خيراً إلا أعطاهُ إيَّاهُ » ، وفي روايةٍ أخرىٰ :

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٥٩) عن مالك بن دينار قال : قرأت في التوراة : ابنَ آدم ؛ لا تعجز أن تقوم بين يدي في صلاتك باكياً ؛ فإني أنا الله الذي اقتربت لقلبك ، وبالغيب رأيت نوري ، قال مالك : يعني : تلك الرقة وتلك الفتوح الذي يفتح الله لك منه .

(٣) قوت القلوب (١/ ٣٦) .

« يسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ خيراً مِنْ أمرِ الدنيا والآخرةِ إلا أعطاهُ إيَّاهُ ، وذلكَ كلَّ ليلةٍ »[1] .

ومطلوبُ القائمينَ تلكَ الساعةُ ، وهيَ مبهمةٌ في جملةِ الليلِ ؛ كليلةِ القدْرِ في شهرِ رمضانَ ، وكساعةِ يومِ الجمعةِ ، وهيَ ساعةُ النفحاتِ المذكورةِ ، واللهُ أعلمُ .

❋ ❋ ❋

(١) رواه مسلم (٧٥٧) .

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل

اعلمْ : أنَّ إحياءَ الليلِ مِنْ حيثُ المقدارُ لهُ سبعُ مراتبَ :

المرتبةُ الأولىٰ : إحياءُ كلِّ الليلِ : وهـٰذا شأنُ الأقوياءِ الذين تجرَّدوا لعبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وتلذَّذُوا بمناجاتِهِ ، وصارَ ذلكَ غذاءً لهمْ وحياةً لقلوبِهِمْ ، فلمْ يتعبوا بطولِ القيامِ ، وردُّوا المنامَ إلى النهارِ في وقتِ اشتغالِ الناسِ .

وقدْ كانَ ذلكَ طريقَ جماعةٍ مِنَ السلفِ ، كانوا يصلُّونَ الصبحَ بوضوءِ العشاءِ ، حكىٰ أبو طالبٍ المكيُّ أنَّ ذلكَ حُكِيَ علىٰ سبيلِ الاشتهارِ عنْ أربعينَ مِنَ التابعينَ ، وكانَ فيهِمْ مَنْ واظبَ عليهِ أربعينَ سنةً ، قالَ : (منهُمْ سعيدُ بنُ المسيَّبِ وصفوانُ بنُ سليمٍ المدنيانِ ، وفضيلُ بنُ عياضٍ ووهيبُ بنُ الوردِ المكِّيَّانِ ، وطاووسٌ ووهبُ بنُ منبِّهٍ اليمانيانِ ، والربيعُ بنُ خُثَيمٍ والحكمُ الكوفيانِ ، وأبو سليمانَ الدارانيُّ وعليُّ بنُ بكَّارٍ الشاميَّانِ ، وأبو عبدِ اللهِ الخوَّاصُ وأبو عاصمٍ العَبَّادِيَّانِ ، وحبيبٌ أبو محمدٍ وأبو جابرٍ السلمانيُّ الفارسيانِ ، ومالكُ بنُ دينارٍ وسليمانُ التيميُّ ويزيدُ الرَّقاشيُّ وحبيبُ بنُ أبي ثابتٍ ويحيى البكَّاءُ البصريونَ ، وكَهْمَسُ بنُ المِنْهالِ وكانَ يختمُ في الشهرِ تسعينَ ختمةً ، وما لمْ يفهمْهُ . . رجعَ وقرأَهُ مرَّةً أخرىٰ ، وأيضاً مِنْ أهلِ المدينةِ

أبو حازمٍ ومحمدُ بنُ المنكدرِ في جماعةٍ يكثرُ عددُهُمْ)[1] .

❁ ❁ ❁

المرتبةُ الثانيةُ : أنْ يقومَ نصفَ الليلِ : وهـٰذا لا ينحصرُ عددُ المواظبينَ عليهِ مِنْ السلفِ ، وأحسنُ طريقٍ فيهِ : أنْ ينامَ الثلثَ الأوَّلَ مِنَ الليلِ والسدسَ الأخيرَ منهُ ؛ حتَّىٰ يقعَ قيامُهُ في جوفِ الليلِ ووسطِهِ ، فهوَ الأفضلُ .

❁ ❁ ❁

المرتبةُ الثالثةُ : أنْ يقومَ ثلثَ الليلِ : فينبغي أنْ ينامَ النصفَ الأوَّلَ والسدسَ الأخيرَ .

وبالجملةِ : نومُ آخرِ الليلِ محبوبٌ ؛ لأنَّهُ يذهبُ النعاسَ بالغداةِ ، وكانوا يكرهونَ ذلكَ[2] ، ويقلِّلُ صفرةَ الوجهِ والشهرةَ بهِ ، فلوْ قامَ أكثرَ الليلِ ونام سَحراً . . قلَّتْ صفرةُ وجههِ وقلَّ نعاسُهُ .

وقالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا أوترَ مِنْ آخرِ الليلِ ؛ فإنْ كانتْ لهُ حاجةٌ إلىٰ أهلِهِ . . دنا منهنَّ ، وإلاَّ . .

---

(١) قوت القلوب (١/ ٣٧ـ ٣٨) ثم قال : (هـٰؤلاء المشهورون منهم) ، وممن كان يحيي الليل كلَّه الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه وقد تقدم ذلك للمصنف قريباً ، وكان ينبغي عداده في الكوفيين ، فهو أفضلهم وأورعهم . « إتحاف » (٥/ ٢٠٠) .

(٢) أي : يكرهون النعاس بالغداة . « إتحاف » (٥/ ٢٠١) .

اضطجعَ في مصلاَّهُ حتَّىٰ يأتيَهُ بلالٌ فيؤذنَهُ للصلاةِ)[1] .

وقالتْ أيضاً رضيَ اللهُ عنها : (ما ألفيتُهُ السحرَ الأعلىٰ إلا نائماً)[2] ، حتَّىٰ قالَ بعضُ السلفِ : هـٰذهِ الضجعةُ قبلَ الصبحِ سنةٌ ، منهُمْ أبو هريرة رضيَ اللهُ عنهُ[3] .

وكانَ نومُ هـٰذا الوقتِ سبباً للمكاشفةِ والمشاهدةِ مِنْ وراءِ حجبِ الغيبِ وذلكَ لأربابِ القلوبِ ، وفيهِ استراحةٌ تعينُ على الوِردِ الأوَّلِ مِنْ أورادِ النهارِ .

وقيامُ ثلثِ الليلِ مِنَ النصفِ الأخيرِ ونومُ السدسِ الأخيرِ قيامُ داوودَ عليهِ السلامُ[4] .

❁ ❁ ❁

المرتبةُ الرابعةُ : أنْ يقومَ سدسَ الليلِ أوْ خمسَهُ : وأفضلُهُ : أنْ يكونَ في النصفِ الأخيرِ وقبلَ السدسِ الأخيرِ منهُ .

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري (١١٤٦) ، ومسلم (٧٣٩) بنحوه .

(٢) رواه البخاري (١١٣٣) ، ومسلم (٧٤٢) .

(٣) هـٰذه الضجعة تكون قبل سنة الصبح ، وهي مستحبة لمن يقوم الليل لما ورد ، واستحباب أبي هريرة في « القوت » (١/٣٨) .

(٤) كما في « البخاري » (١١٣١) ، ومسلم (١١٥٩) .

المرتبةُ الخامسةُ : ألاَّ يُراعيَ التقديرَ : فإنَّ ذلكَ إنَّما يتيسَّرُ لنبيٍّ يُوحىٰ إليهِ ، أوْ لمَنْ يعرفُ منازلَ القمرِ ويوكِّلُ بهِ مَنْ يراقبُهُ ويواظبُهُ ويوقظُهُ ، ثمَّ ربما يضطربُ في ليالي الغيمِ ، ولكنَّهُ يقومُ مِنْ أوَّلِ الليلِ إلىٰ أنْ يغلبَهُ النومُ ، فإذا انتبَهَ . . قامَ ، فإذا غلبَهُ النومُ . . عادَ إلى النومِ ، فيكونُ لهُ في الليلِ نومتانِ وقومتانِ ، وهوَ مِنْ مكابدةِ الليلِ ، وأشدِّ الأعمالِ وأفضلِها .

وقدْ كانَ هـٰذا مِنْ أخلاقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] ، وهوَ طريقةُ ابنِ عمرَ ، وأولي العزمِ مِنَ الصحابةِ ، وجماعةٍ مِنَ التابعينَ رضيَ اللهُ عنهُمْ[2] .

وكانَ بعضُ السلفِ يقولُ : (هيَ أوَّلُ نومةٍ ، فإذا انتبهتُ ثمَّ عدتُ إلى النومِ . . فلا أنامَ اللهُ عيني)[3] .

فأمَّا قيامُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ حيثُ المقدارُ . . فلمْ يكنْ علىٰ ترتيبٍ واحدٍ ، بلْ ربما كانَ عليهِ السلامُ يقومُ نصفَ الليلِ أوْ ثلثَهُ أوْ ثلثَيهِ أوْ سدسَهُ ، يختلفُ ذلكَ في الليالي ، ودلَّ عليهِ قولُهُ تعالىٰ في الموضعينِ

---

(١) روىٰ أبو داوود (١٤٦٦) واللفظ له ، والترمذي (٢٩٢٣) ، والنسائي (٣/ ٢١٤) عن أم سلمة رضي الله عنها : (كان يصلي وينام قدر ما صلىٰ ، ثم يصلي قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلىٰ حتىٰ يصبح) .

(٢) قوت القلوب (١/ ٣٨) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ٣٢٠) .

مِنْ (سورةِ المزمِّلِ) : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ ، فأدنىٰ مِنْ ثلثي الليل كأنَّهُ نصفُهُ ، ونصفُ سدسِهِ ، فإنْ كُسِرَ قولُهُ : ﴿ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ . . كانَ نصفَ الثلثينِ وثلثَهُ ، فيقربُ مِنَ الثلثِ والربعِ ، وإنْ نُصِبَ . . كانَ نصفَ الليلِ وثلثَهُ[1] .

وقدْ قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقومُ إذا سمعَ الصارخَ) يعني : الديكَ[2] ، وهـٰذا يكونُ السدسَ فما دونَهُ .

ورُوِيَ عنْ بعضِ الصحابةِ أنَّهُ قالَ : راعيتُ صلاةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في السفرِ ليلاً ، فنامَ بعدَ العشاءِ زماناً ، ثمَّ استيقظَ ، فنظرَ في الأفقِ فقالَ : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ حتَّىٰ بلغَ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ ، ثمَّ استلَّ مِنْ فراشِهِ سواكاً فاستاكَ بهِ ، وتوضَّأَ ، وصلَّىٰ حتَّىٰ قلتُ : قدْ صلَّىٰ مثلَ الذي نامَ ، ثمَّ اضطجعَ حتَّىٰ قلتُ : قدْ نامَ مثلَ ما صلَّىٰ ، ثمَّ استيقظَ ، فقالَ ما قالَ أوَّلَ مرَّةٍ ، وفعلَ ما فعلَ أوَّلَ مرَّةٍ[3] .

---

(١) قال أبو علي الفارسي في « الحجة » (٦/ ٣٣٦) : (قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر : ﴿ وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ ﴾ كسراً ، وقرأ الباقون : ﴿ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ نصباً ، من نصب فقال : ﴿ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ . . حمله علىٰ ﴿ أَدْنَىٰ ﴾ ، وأدنىٰ في موضع نصب ، قال أبو عبيدة : أدنىٰ : أقرب ، فكأنه : إن ربك يعلم أنك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه ، وأما من جرَّ فقال : ﴿ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ ﴾ . . فإنه يحمله على الحال) ، وانظر « القوت » (١/ ٣٩) .

(٢) رواه البخاري (١١٣٢) ، ومسلم (٧٤١) ، و(إذا) في الحديث لمجرد الظرفية ، لا للشرط .

(٣) رواه النسائي (٣/ ٢١٣) بنحوه .

المرتبةُ السادسةُ : وهي الأقلُّ ، أنْ يقومَ مقدارَ أربعِ ركعاتٍ أوْ ركعتينِ ، أوْ تتعذَّرُ عليهِ الطهارةُ فيجلسُ مستقبلَ القبلةِ ساعةً مشتغلاً بالذكرِ والدعاءِ : فيُكتبُ في جملةِ قوَّامِ الليلِ برحمةِ اللهِ وفضلِهِ .

وقدْ جاءَ في الأثرِ : « صلِّ مِنَ الليلِ ولو قدْرَ حلبِ شاةٍ »[1] .

فهـٰذهِ طرقُ القسمةِ ، فليتخيَّرِ المريدُ لنفسِهِ ما يراهُ أيسرَ عليهِ .

وحيثُ يتعذَّرُ عليهِ القيامُ في وسَطِ الليلِ . . فلا ينبغي أنْ يهملَ إحياءَ ما بينَ العشاءينِ والوِردَ الذي بعدَ العشاءِ ، ثمَّ يقومُ قبلَ الصبحِ وقتَ السحرِ ، فلا يدركُهُ الصبحُ نائماً ، ويقومُ بطرفي الليلِ ، **وهـٰذهِ هيَ الرتبةُ السابعةُ .**

ومهما كانَ النظرُ إلى المقدارِ فترتيبُ هـٰذهِ المراتبِ بحسَبِ طولِ الوقتِ

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٦٧٧) ، ولفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما : فذكرت صلاة الليل ، فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نصفه ، ثلثه ، ربعه ، فُواقَ حلب ناقة ، فواق حلب شاةٍ » ، وأورده في « القوت » (١/ ٣٩) وقال : (فهـٰذا قد يكون أربع ركعات ، وقد يكون ركعتين) ، وروى ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٢٠٨) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (١/ ٢٩١) مرسلاً : « لا بد من قيام الليل ولو حلب ناقة ، ولو حلب شاة ، وما كان بعد العشاء الآخرة فهو من الليل » .

وقصرِهِ[1] ، وأمَّا في الرتبةِ الخامسةِ والسابعةِ . . لمْ ينظرْ فيهما إلى المقدارِ ، فليسَ يجري أمرُهُما في التقدُّمِ والتأخُّرِ على الترتيبِ المذكورِ ؛ إذِ السابعةُ ليستْ دونَ ما ذكرناهُ في السادسةِ ، ولا الخامسةُ دونَ الرابعةِ .

❋ ❋ ❋

(١) في مراعاة النصف والثلث والسدس ونحو ذلك ، وهو مختلف بين الشتاء والصيف .

بيان الليالي والأيام الفاضلة

اعلمْ : أنَّ الليالِيَ المخصوصةَ بمزيدِ الفضلِ التي يتأكَّدُ فيها استحبابُ الإحياءِ في السنةِ **خمسَ عشرةَ ليلةً** .

لا ينبغي أنْ يغفُلَ المريدُ عنها ؛ فإنَّها مواسمُ الخيراتِ ، ومظانُّ التجاراتِ .

ومتىٰ غفَلَ التاجرُ عنِ المواسمِ . . لمْ يربحْ .

ومتىٰ غفَلَ المريدُ عنْ فضائلِ الأوقاتِ . . لمْ ينجحْ .

فستٌّ مِنْ هـٰذهِ الليالي في شهرِ رمضانَ :

خمسٌ في أوتارِ العشرِ الأخيرِ ، إذْ فيها تطلبُ ليلةُ القدْرِ .

وليلةُ سبعَ عشرةَ مِنْ رمضانَ ، فهيَ ليلةٌ صبيحتُها يومُ الفرقانِ يومَ التقى الجمعانِ ، فيهِ كانتْ وقعةُ بدرٍ .

وقالَ ابنُ الزبيرِ رحمهُ اللهُ : هيَ ليلةُ القدْرِ[1] .

---

(١) كذا في « القوت » (١/ ٦٢) ، وروىٰ أنها ليلة القدر كذلك الطبراني في « الكبير » (٥/ ١٩٨) عن زيد بن الأرقم رضي الله عنه ، (٩/ ٢٢١) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وأمَّا التسعُ الأُخَرُ :

فأوَّلُ ليلةٍ مِنَ المحرَّمِ[1] ، وليلةُ عاشوراءَ[2] ، وأوَّلُ ليلةٍ مِنْ رجبٍ[3] ، وليلةُ النصفِ منهُ ، وليلةُ سبعٍ وعشرينَ منهُ وهيَ ليلةُ المعراجِ ، وفيها صلاةٌ مأثورةٌ .

فقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « للعاملِ في هٰذهِ الليلةِ حسناتُ مئةِ سنةٍ ، فمَنْ صلَّىٰ فيها اثنتي عشرةَ ركعةً ، يقرأُ في كلِّ ركعةٍ (فاتحةَ الكتابِ) وسورةً مِنَ القرآنِ ، يتشهَّدُ في كلِّ ركعتينِ ويسلِّمُ في آخرهنَّ ، ثمَّ يقولُ : سبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلٰهَ إلا اللهُ ، واللهُ أكبرُ مئةَ مرَّةٍ ، ثمَّ

---

(١) ونقل الإمام القرطبي في « تفسيره » (٢٠/ ٣٨) عن ابن عباس وقتادة أن فجر هٰذه الليلة هو الذي أقسم الله تعالىٰ به مطلع (سورة الفجر) .
قال : (هو فجر أول يوم من المحرم ، منه تنفجر السنة) ، وهو مطلع سنة جديدة .
وفي الحديث الذي رواه الترمذي (٩٨١) : « ما من حافظين رفعا إلى الله ما حفظا من ليل أو نهار ، فيجد الله من أول الصحيفة وفي آخر الصحيفة خيراً . إلا قال الله تعالىٰ : أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة » .

(٢) وفضل هٰذا اليوم ورد في الصحيح ، ونقل الحافظ ابن رجب في « لطائف المعارف » (ص١١٤) عن أبي موسى المديني مرفوعاً : « هٰذا يوم تاب الله فيه علىٰ قوم ، فاجعلوه صلاة وصوماً » يعني يوم عاشوراء .

(٣) روىٰ عبد الرزاق في « المصنف » (٤/ ٣١٧) والبيهقي في « الشعب » (٣٤٤٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما : (خمس ليال لا يرد فيهن الدعاء : ليلة الجمعة ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلتي العيد) .
ورواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٣/ ٣١٩) عن الشافعي بلاغاً .

يستغفرُ اللهَ مئةَ مرَّةٍ ، ويصلِّي على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مئةَ مرَّةٍ ، ويدعو لنفسِهِ بما شاءَ مِنْ أمرِ دنياهُ وآخرتِهِ ، ويصبحُ صائماً . . فإنَّ اللهَ تعالىٰ يستجيبُ دعاءَهُ كلَّهُ إلا أنْ يدعوَ في معصيةٍ »[1] .

وأمَّا ليلةُ النصفِ مِن شعبانَ : ففيها مئةُ ركعةٍ ، يقرأُ في كلِّ ركعةٍ بعدَ (الفاتحةِ) (سورةَ الإخلاصِ) عشرَ مرَّاتٍ ، كانوا لا يتركونَها كما أوردناهُ في صلاةِ التطوُّعِ .

وليلةُ عرفةَ ، وليلتا العيدينِ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أحيا ليلتي العيدِ . . لمْ يمتْ قلبُهُ يومَ تموتُ القلوبُ »[2] .

وأمَّا الأيامُ الفاضلةُ :

فهيَ تسعةَ عشرَ ، يُستحبُّ مواصلةُ الأورادِ فيها :

يومُ عرفةَ ، ويومُ عاشوراءَ ، ويومُ سبعةٍ وعشرينَ مِنْ رجبٍ ، لهُ شرفٌ عظيمٌ ، روىٰ أبو هريرةَ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ صامَ يومَ سبعةٍ وعشرينَ مِنْ رجبٍ . . كتبَ اللهُ لهُ صيامَ ستينَ شهراً ، وهوَ

---

(١) قال الحافظ العراقي : (ذكر أبو موسى المديني في كتاب « فضائل الأيام والليالي » : أن أبا محمد الخبازي رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل ، عن أبان ، عن أنس ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان) . « إتحاف » (٥/ ٢٠٥) .

(٢) رواه ابن ماجه (١٧٨٢) بلفظ : « من قام ليلتي . . . » .

اليومُ الذي هبطَ فيهِ جبريلُ عليهِ السلامُ علىٰ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالرسالةِ »[1] .

ويومُ سبعةَ عشرَ مِنْ شهرِ رمضانَ ، وهوَ يومُ وقعةِ بدرٍ .

ويومُ النصفِ مِن شعبانَ ، ويومُ الجمعةِ ، ويوما العيدينِ .

والأيامُ المعلوماتُ ؛ وهي عشْرُ ذي الحجَّةِ .

والأيامُ المعدوداتُ ؛ وهيَ أيامُ التشريقِ .

وقدْ روىٰ أنسٌ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إذا سلمَ يومُ الجمعةِ . . سلمتِ الأيامُ ، وإذا سلمَ شهرُ رمضانَ . . سلمتِ السنةُ »[2] .

وقالَ بعضُ العلماءِ : (مَنْ أخذَ مهناهُ في الأيامِ الخمسةِ في الدنيا . . لمْ ينلْ مهناهُ في الآخرةِ)[3] .

وأرادَ بهِ : العيدينِ ، والجمعةَ ، وعرفةَ ، وعاشوراءَ .

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ٢٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٢٣٤) .

(٢) كذا في « القوت » (١/ ٦٢) عن أنس ، وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ١٤٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٤٣٤) من حديث عائشة رضي الله عنها .
ويشهد لمعناه حديث طرفي الصحيفة المتقدم قريباً ، وانظر « الإتحاف » (٥/ ٢٠٧) .

(٣) قوت القلوب (١/ ٦٢) .

ومِنْ فواضلِ الأيامِ في الأسبوعِ :

يومُ الخميسِ والاثنينِ ، ترفعُ فيهما الأعمالُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وقدْ ذكرنا فضائلَ الأشهرِ والأيامِ للصيامِ في كتابِ الصومِ ، فلا حاجةَ إلى الإعادةِ ، واللهُ أعلمُ .

وصلَّى اللهُ علىٰ كلِّ عبدٍ مصطفىً مِنْ كلِّ العالمينَ .

* * *

تمّ كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات ، وتفصيل إحياء الليل

وهو آخر ربع العبادات من كتاب إحياء علوم الدّين

بحمد الله وعونه وتأييده ونصره

وصلاته على خيرته من خلقه سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا

يتلوه ربع العادات

وهو الرّبع الثاني من كتاب إحياء علوم الدّين